# المفسدون : صفات ونماذج

## "دراسة قرآنية موضوعية"

**عبد السلام حمدان اللوح**
**كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية - غزة**

**ضيائي نعمان السوسي**
**كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية- غزة**

تاريخ الاستلام ٢٠٠٧/٠٥/٢٨م تاريخ القبول ٢٠٠٧/٠٩/١٨م

## ملخص البحث:

هذه الدراسة تمثل لوناً من ألوان التفسير الموضوعي، وهو موضوع قرآني يتناول عرضاً لصفات المفسدين، سواء كانت هذه الصفات عدوانية، أو صفات ذات طابع اجتماعي، أو صفات عامة، مع الوقوف على أشهر نموذج لأفراد اشتهروا بالفساد رغم كثرتهم، وكذلك الوقوف على أشهر نموذج لأمم اشتهرت بالفساد رغم كثرتهم، مع بيان المصير الذي انتهى إليه هذان النموذجان، وذلك من خلال منهج وصفي موضوعي.

## Research summary:

*forms, besides it is a Koranic subject that gives description of the corrupt characteristics whether they are aggressive or social or general ones.*

*In additional to focusing on the most well-known examples of individuals who are famous for their corruption though they are a lot. and concentration on the most well–known examples of nations which they are very famous for their corruption in spite of their huge number,*

*Finally this study show the fatal end of those two examples through a descriptive and subjective curriculum.*

### مقدمة

الحمد لله الذي هدانا لأحسن الأخلاق وعافانا من سيء الأخلاق والصفات، والصلاة والسلام على أشرف الخلق الله، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد.

فإن الحديث عن المفسدين حديث متشعب وطويل، ولقد سبق أن قدمنا بحثاً بعنوان " الفساد وأسبابه " تحدثنا فيه عن تعريف الفساد لغة واصطلاحاً، مع عرض للفظة الفساد

**مجلة جامعة الأزهر ـ غزة، سلسلة العلوم الإنسانية ٢٠٠٧، المجلد ٩، العدد ٢ ص ١٨٩- ٢٢٤**

في السياق القرآني، ثم وقفنا على تسعة أسباب للفساد في ضوء القرآن الكريم، مما يغني عن إعادته في هذا البحث المتمم، والذي يمثل حلقة من حلقات الدراسة حول هذا الموضوع الخطير مع كثرة المفسدين في هذا الزمان، وحسبنا في هذا البحث أن نقف على صفات المفسدين لنتقي شرهم، ونتجنب صحبتهم، سواء أكانت هذه الصفات عدوانية كسفك الدماء والاعتداء على الأموال العامة والخاصة، والتطفيف، وترويع الآمنين، وقطع الطريق، وأكل أموال اليتامى ومخالطتهم بسوء، أم كانت هذه الصفات ذات طابع اجتماعي كقطع الأرحام، و نقض العهود والمواثيق، والبغض والحسد، والغدر والخديعة، أم كانت صفات عامة كالاعتداد بالرأي، والتعالي وغمط الحق، وانحراف الأهواء، والصد عن سبيل الله، ثم الوقوف على أشهر نموذج لأفراد اشتهروا بالفساد رغم كثرتهم، مع معرفة المصير الذي انتهى إليه هذا النوذج، وكذلك الوقوف على أشهر نموذج لأمم اشتهرت بالفساد رغم كثرتهم، مع معرفة المصير الذي انتهى إليه هذا النموذج أيضاً.

وذلك من خلال منهج وصفي موضوعي، مع الاستدلال بآيات الله تعالى على كل ما يقرره الباحثان، مع ربط ذلك بالواقع ما أمكن.

وتحقيقاً لهدف البحث وغايته، فقد جعلنا البحث من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وذلك كما يلي:

**المقدمة:** وفيها أهمية البحث وغايته وهيكليته.

**المبحث الأول:** صفات المفسدين

**وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول:** صفات عدوانية

**المطلب الثاني:** صفات ذات طابع اجتماعي

**المطلب الثالث:** صفات عامة

**المبحث الثاني:** نماذج مختارة من المفسدين ومصائرهم

**وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول:** أفراد اشتهروا بالفساد

**المطلب الثاني:** أمم اشتهرت بالفساد

**الخاتمة:** وفيها أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج وتوصيات

# المبحث الأول

## صفات المفسدين

اتصف المفسدون بصفات متعددة ومتنوعة كما أخبر بذلك المولى عز وجل في كتابه العزيز، وهو أعلم بهم من أنفسهم، وقد جعلنا هذه الصفات في ثلاث مجموعات، ممثلة في ثلاث مطالب، وهي كما يلي:

**المطلب الأول:** صفات عدوانية

ويقصد الباحثان بالصفات العدوانية للمفسدين تلك الصفات التي يتميز أصحابها بالعدوان على الآخرين، وظلمهم والنيل من خصوصياتهم أفراداً وجماعات، وقد أوقفتنا الآيات الكريمة على خمس صفات ذات مدلول عدواني، وهي على النحو التالي:

**الصفة الأولى:** سفك الدماء

سفك الدماء مفسدة كبرى توقع العداوة والبغضاء بين الناس، فيستحيل معها بقاء الود والتراحم، فقد يرتكب الإنسان معصية أو تقصيراً في حق الله تعالى، فيتوب توبة نصوحاً فيقبل الله توبته، وقد يخطئ الإنسان في حق أخيه الإنسان فيعفو ويصفح، أما القتل فهو هدم لبنيان الله تعالى، وقطع لأواصر المحبة والمودة بين أفراد المجتمع، لذلك ما فرح الشيطان على ذنب يرتكبه الإنسان كفرحه عند وقوع القتل وسفك الدماء، فقد جاء في الحديث الشريف، أن النبي ﷺ قال: **[إذا أصبح إبليس بث جنوده فيقول: من أضل اليوم مسلما ألبسته التاج، فيجيء أحدهم فيقول: لم أزل به حتى عق والده، فقال: يوشك أن يبره، ويجيء أحدهم فيقول لم أزل به حتى طلق امرأته، فيقول: يوشك أن يتزوج ويجيء أحدهم فيقول: لم أزل به حتى أشرك، فيقول: أنت أنت ويجيء أحدهم فيقول: لم أزل به حتى قتل، فيقول: أنت أنت ويلبسه التاج]**(1).

وسفك الدماء والقتل سمة المفسدين، الذين يعيثون في الأرض فساداً، قال تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾** (2)، لما أخبر الله تعالى ملائكته أنه سيخلق خلقاً جديداً لعمارة الأرض، قالت الملائكة عليهم السلام: أتجعل فيها من يفسد فيها بالمعاصي وسفك الدماء؟.

---

(1) المستدرك على الصحيحين - الحاكم النيسبوري - ج٤ص٣٩٠ - ح(٨٠٢٧). صححه الذهبي في التعليق

(2) البقرة: ٣٠

ورغم أن القتل من عموم الفساد إلا إن الملائكة خصته بالذكر، وجاءت به بصيغة المضارع لبيان تكرار القتل وسفك الدماء من هذا المخلوق الجديد الذي سيفسد نسله، وتكون أبرز صفات فسادهم سفك الدماء، وقد بين السياق القرآني في أكثر من موضع أن القتل وسفك الدماء صفة ملازمة للمفسدين، ويمكن بيان ذلك فيما يلي:

١ـ قال تعالى: **إِن فِرعون علا فِي الْأَرضِ وجعلَ أَهلَها شِيعاً يستَضعِفُ طَائِفَةً منْهم يذَبح أَبناءهم ويستَحيِي نِساءهم إِنه كان مِن الْمفْسِدِين** [3]، لما وصف الله عز وجل فساد فرعون، جعل من أبرز صفات هذا الفساد القتل وسفك الدماء، فذَبح الأطفال دون ذنب أو جريمة كانت أبرز صفات فرعون، التي أراد من خلالها تدعيم أركان سلطانه، فهل هناك أشنع من هذه الصفة التي امتاز بها المفسدون.

٢ـ قال تعالى: **وقَالَ فِرعون ذَرونِي أَقْتُلْ موسى ولْيدع ربه إِنِي أَخَافُ أَن يبدلَ دِينَكُم أَو أَن يظْهِر فِي الْأَرضِ الْفَساد** [4]، فالمفسدون أول ما يفكرون به عند مواجه خصومهم القتل وسفك الدماء، ففي الآية الكريمة يهدد فرعون ويتوعد بقتل موسى عليه السلام، نتيجة فشله أمام آيات موسى عليه السلام وحججه.

٣- قال تعالى: **.. كُلَّما أَوقَدوا نَارا لِلْحربِ أَطْفَأَها الله ويسعون فِي الْأَرضِ فَسادا والله لَا يحِب الْمفْسِدِين** [5]، فإشعال الحرب وما فيها من دمار وقتل وسفك للدماء من صفات وصنيع المفسدين.

ويرى الباحثان أن القتل وسفك دماء الآمنين دون وجهة حق، هو سبيل المفسدين وأبرز صفاتهم، ولعل المتأمل في أوضاع البشرية اليوم ـ في القرن الحادي والعشرين ـ يلمس بوضوح هذا المنحدر السحيق الذي وصلت إليه البشرية، بعد كل ما أنجزته من تقدم علمي وتقني[6] في كافة المجالات، لم تستطع هذه الدول العظمى التي تصنع القرار الدولي أن توفر الأمن للبشرية، ويرجع سبب ذلك إلى أن الذين يقودون هذه الدول ثلة من المفسدين الذين لا هم لهم سوى صناعة الآلة العسكرية التي تدمر كل شيء، ليحفظوا بقاء سلطانهم وهيمنتهم على مقدرات الناس وثرواتهم، وقد حق عليهم قول الله تعالى: **وإِذَا**

---

[3] القصص: ٤

[4] غافر: ٢٦

[5] المائدة: ٦٤

[6] هو مصطلح يشير إلى كل الطرق التي يستخدمها الناس في اختراعاتهم واكتشافاتهم لتلبية حاجاتهم واشباع رغباتهم ويسميه بعضهم: التكنولوجيا. انظر: الموسوعة العربية العالمية ـ تعريب تيرا دل فوجو ـ ج٧ص٦٩

**تَولى سعى فِي الْأَرض لِيفْسِد فِيها ويهلِك الْحرثَ والنسلَ والله لا يحِب الْفَساد** [7]، قيل أن التولي هنا من الولاية، أي أصبح والياً[8] .

فهل هناك من هو أفسد حالا ممن زرع القتل والدمار في صفوف البشرية بدلاً من الأمن والأمان.

**الصفة الثانية**: الاعتداء على المال العام والخاص

قال تعالى: **الْمالُ والْبنُون زِينَةُ الْحياةِ الدنْيا والْباقِياتُ الصالِحاتُ خَير عِنْد ربك ثَواباً وخَير أَملاً** [9]، فالمال زينة محببة للنفس البشرية، والله تعالى خالق النفس ويعلم ما يدور في خلجاتها من مشاعر وأحاسيس، وما يصلحها ويفسدها، قال تعالى: **ولَقَد خَلَقْنَا الْإِنْسان ونَعلَم ما تُوسوِس بِهِ نَفْسه ونَحن أَقْرب إِلَيهِ مِن حبلِ الْورِيدِ** [10]، وأذن لها أن تتمتع وتأخذ نصيبها من هذه الزينة بالقدر الذي يصلحها - حتى لا يصبح المتاع والزينة كل همها - وبوسيلة تصون لها كرامتها، حتى لا يقع منها اعتداء على حقوق الآخرين، وقد صانت الشريعة الإسلامية حرمة المال العام وحضت المسلمين على صونه، وجعلته في مقام الدم والعرض، قال تعالى: **ولا تَأْكُلُوا أَموالَكُم بينَكُم بِالْباطِلِ وتُدلُوا بِها إِلَى الْحكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِن أَموالِ الناسِ بِالْإِثْمِ وأَنْتُم تَعلَمون** [11]، وقال ﷺ **[...كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه]**[12]، وجعلتْ من مات دفاعاً عن ماله شهيداً، قال ﷺ **[من قتل دون ماله فهو شهيد]**[13].

ومن خلال هذه المقدمة فإن الاعتداء على أموال الغير بالسطو أو بالوسائل التي حرمها الله، هو شكل من أشكال الفساد في الأرض، ووصف يمتاز به المفسدون، قال تعالى على لسان إخوة يوسف: **قَالُوا تَاللَّهِ لَقَد عَلِمتُم ما جِئْنَا لِنُفْسِد فِي الْأَرضِ وما كُنا سارِقِين** [14]، فالقوم يقْسِمون على براءتهم من هذه المعصية العظيمة، ومن هذا الوصف

---

[7] البقرة: ٢٠٥

[8] انظر: فتح القدير - الشوكاني - ج١ص٢٠٨

[9] الكهف: ٤٦

[10] ق: ١٦

[11] البقرة: ١٨٨

[12] صحيح مسلم - كتاب البر والصلة - باب تحريم الظلم - ج٤ص١٩٨٦- ح(٢٥٦٤)

[13] صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم -ج١ص١٢٤ - ح(٢٢٦)

[14] يوسف: ٧٣

الذميم، فالسرقة فساد ليس من سجيتهم، فهم لم يسرقوا، وما جاءوا ليجترحوا هذا الفساد الذي يزعزع الثقة والعلاقات في المجتمعات(15).

ويرى الباحثان أن صواع الملك في أحسن ظروفه ما هو إلا شيء يسير من مال الدولة العام، وإن كان من فضة(16)، فسرقته اعتداء، عرفّه الأسباط عليهم السلام أنه فساد في الأرض، ما كان ينبغي لأحد أن يأخذه عنوة أو يستأثر به لنفسه دون سائر الناس.

وانطلاقاً من هذا التأصيل الذي وضعه الأسباط، فإن الاعتداء على المال العام، الذي خصص لخدمة الناس كافة لا يجوز لأحد أن يستأثر به لنفسه، أو أن يعتدي عليه، ولكن المفسدين في الأرض لا يبالون في ذلك، فالسرقة والاعتداء على مقدرات الناس وأموالهم شيء متأصل في نفوسهم.

ويرى الباحثان أن ما تعانيه الشعوب في عالمنا العربي والإسلامي في هذا الزمان، من فقر وحرمان، لهو نتيجة طبيعة لقيام فئة من المفسدين التي أمسكت مقاليد الأمر في الأمة، فوضعت يدها على مقدراتها، ومخصصات شعوبها، فاستأثرت لنفسها بالنصيب الأكبر وقدمت الفتات لشعبها**(17)**، فبفعلهم هذا استفحل الفساد وانتشر.

**الصفة الثالثة:** التطفيف

والتطفيف في اللغة: "نَقْص يخُون به صاحبه في كيل أو وزن"(18).

وقد بين الله عز وجل معنى المطففين في كتابه العزيز فقال: **الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ** (19) أي: هم الذين يأخذون حقهم كاملاً عند الشراء دون نقص، وعند البيع يعطون الناس الحق الذي يثبت لهم بكيل أو وزن ناقص(20)، ولما كان التطفيف خُلُقاً ذميماً وفساداً في أموال الناس، فقد حرمه الله عز وجل في مرحلة مبكرة من الدعوة الإسلامية، حيث كان الوعيد للمطففين في العهد المكي.

وقد اشتهرت بالتطفيف مدين: قوم شعيب عليه السلام، حتى غدا خُلُقاً من أخلاقهم، وصفة من صفاتهم استوجبت أن يحذرهم نبي الله من عاقبتها الوخيمة، قال تعالى: **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي**

---

(15) انظر: في ظلال القرآن - سيد قطب - ج٤ص٢٠١٩

(16) انظر: تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج٤ص٤٠٩

(17) ( مقال بعنوان: إن الله لا يصلح عمل المفسدين - أحمد بحر). انظر: جريدة الرسالة - عدد ٢٩٨- تاريخ ٢٠٠٤/٥/١٣ ص١٤

(18) لسان العرب - ابن منظور - ج٩ص٢٢١

(19) المطففين: ٢، ٣

(20) انظر: الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ج١٩ص٢٢٠

**أَراكُم بِخَيرٍ وإِني أَخَافُ علَيكُم عذَاب يومٍ محِيطٍ * ويا قَومِ أَوفُوا الْمِكْيالَ والْمِيزان بِالْقِسطِ ولَا تَبخَسوا الناس أَشْياءهم ولَا تَعثَوا فِي الْأَرضِ مفْسِدِين** (21)، وقال في موضع آخر: **فَأَوفُوا الْكَيلَ والْمِيزان ولَا تَبخَسوا الناس أَشْياءهم ولَا تُفْسِدوا فِي الْأَرضِ بعد إِصلَاحِها** (22)، وقوله **أَوفُوا الْكَيلَ ولَا تَكُونُوا مِن الْمخْسِرِين * وزِنُوا بِالْقِسطَاسِ الْمستَقِيمِ * ولَا تَبخَسوا الناس أَشْياءهم ولَا تَعثَوا فِي الْأَرضِ مفْسِدِين** (23)، في هذه الآيات الكريمات يخْلِص شعيب ﵇ النصح لقومه، حيث يعظهم بجملة من النصائح، وفي مقدمتها توحيد الله عز وجل، ثم وفاء الكيل والميزان عند البيع والشراء، وترك بخس الناس حقوقهم(24)، وقد حذرهم ونهاهم عن هذا الفساد بصريح العبارة كما بينت الآيات أعلاه.

والتطفيف والسرقة كلاهما اعتداء على أموال الآخرين، أما السارق فيأخذ المال تستراً وخلسة(25)، والمطفف يحتال بخدعة منه وجشع ليحقق لنفسه كسباً في البيع والشراء بغير حق، وقد يزين الشيطان للمطفف أنه على الحق والصواب، ولعل ذلك يتضح من سؤال مدين لنبيهم ﵇ **قَالُوا يا شُعيب أَصلَاتُك تَأْمرك أَن نَتْرك ما يعبد آباؤُنَا أَو أَن نَفْعلَ فِي أَموالِنَا ما نَشَاء...** (26)، فالسرقة فساد لا يختلف في شأنها أحد من الناس، أما التطفيف فإن خطورته تكمن في أن من ورائه اعتقاد فاسد، يبرر فيه المطففون براءتهم وأحقيتهم في حرية التصرف بأموالهم دون رقيب، مستخدمين بذلك قوتهم وسطوتهم في الكيل كما تقتضي مصالحهم، فتنشأ فيهم تلك الصفة الفاسدة.

**الصفة الرابعة:** ترويع الآمنين وقطع الطريق

قال تعالى: **وإِذَا تَولَّى سعى فِي الْأَرضِ لِيفْسِد فِيها ويهلِك الْحرثَ والنسلَ واللَّه لَا يحِب الْفَساد** (27)، يتناول سياق الآية الحديث عن ذلك المنافق الذي ضربه الله تعالى مثلا للمفسدين في الأرض(28)، فإذا انقلب من عند المؤمنين وخلا بنفسه، أظهر غدره وكفره

---

(21) هود: ٨٤، ٨٥

(22) الأعراف: ٨٥، ٨٦

(23) الشعراء: ١٨١، ١٨٢

(24) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل - البيضاوي - ج٢ص١٦٦

(25) لسان العرب - ابن منظور - ج١٠ص١٥٥

(26) هود: ٨٧

(27) البقرة: ٢٠٥

(28) نزلت في الأخنس بن شريق، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعم أنه يريد الإسلام، وحلف أنه ما قدم إلا لذلك، ثم خرج فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر، فأحرق الزرع وعقر الحمر، وقيل نزلت في نفر من المنافقين. انظر: لباب النقول في أسباب النزول - السيوطي - ص٢٧

واعتدى على الحرماتِ، وأزهق الأرواح وسلب(29) المال وأحرق الزرع، كل ذلك على سبيل إشاعة الفساد والدمار، لترويع الناس وبث الرعب والهلع في صفوفهم.

وهذا الدمار والحرق والقتل للآمنين صفة يمتاز بها المفسدون على مر العصور والقرون، ولعل ما يعانيه شعبنا الفلسطيني في بيت المقدس وأكنافه في هذا الزمان لهو أكبر شاهد على فساد المجرمين من اليهود، إذ أنهم يزرعون الموت والدمار في كل مكان فيهدمون البيوت، ويقتلعون الأشجار، ويقتلون الدواب، ويقذفون حمم مدافعهم في كل مكان من الأرض، ليحرموا الناس من سلامة العيش فيروعونهم ويفقدونهم نعمة الأمن، وقد بلغ هذا الترويع والدمار قمة الفساد، إنه فساد ترعاه دولة يهود على أرض فلسطين، التي تملك آلة عسكرية تعد من أرقى الآلات العسكرية في العالم، ضد شعب أعزل لا يملك إلا سلاح الصبر والإيمان.

**الصفة الخامسة:** أكل أموال اليتامى ومخالطتهم بنية سيئة

لقد حرم الله الاعتداء مطلقاً فقال تعالى: **...ولا تَعتَدوا إن الله لا يحب المعتَدِين** (30)، كما حرم سبحانه وتعالى الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرماً، فقال في الحديث القدسي: **[يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا]**(31)، وإن من أشد أنواع الظلم، أن يظلم الإنسان من استودعه الله رعايتهم من أيتام المسلمين.

والتكافل الاجتماعي إحدى القواعد التي يقوم عليها بناء المجتمع الإسلامي، والأمة المسلمة مكلفة برعاية مصالح الضعفاء فيها، وفي مقدمة من يتوجب رعايتهم اليتامى من أبناء الشهداء وغيرهم لفقدهم آبائهم وهم صغار ضعاف، فهم الأولى برعاية الأمة، وحماية مصالحهم، ورعاية نفوسهم، وحمايةِ أموالهم(32).

وقد تناول السياق القرآني مسألة الأيتام وإدارة أموالهم في أكثر من موضع من كتاب الله تعالى يمكن بيانها على النحو التالي:

١- قال تعالى: **ولا تَقْربوا مالَ اليتيم إلا بالتي هي أَحسن حتى يبلغَ أَشُدَّه...** (33)، فأمر الله عز وجل من تولى اليتيم ألاّ يقْرب ماله إلا بالطريقة التي هي أحسن لليتيم، فيصونه له

---

(29) انظر: محاسن التأويل - محمد جمال القاسمي - ج٤ص١٧٠

(30) البقرة: ١٩٠

(31) صحيح مسلم - كتاب البر والصلة - باب تحريم الظلم - ج٤ص١٩٩٤ - ح(٢٥٧٧)

(32) انظر: في ظلال القرآن - سيد قطب - ج١ص٢٣٢

(33) الأنعام: ١٥٢

وينميه، حتى يسلمه له كاملاً نامياً عند اشتداد قوته الجسمية والعقلية، فيحمي ماله، ويحسن القيام عليه بنفسه، ونهى المسلمين عن مس مال اليتيم بشيء فيه غبن وظلم(34).

٢ ـ قال تعالى: **وآتُوا الْيتَامى أَموالهم ولا تَتَبدلُوا الْخَبِيثَ بِالطيبِ ولا تَأْكُلُوا أَموالهم إِلى أَموالِكُم إِنه كَان حوباً كَبِيراً * وإِن خِفْتُم أَلا تُقْسِطُوا فِي الْيتَامى فَانْكِحوا ما طَاب لَكُم مِن النساءِ مثْنَى وثُلاثَ ورباع فَإِن خِفْتُم أَلا تَعدِلُوا فَواحِدةً أَو ما ملَكَتْ أَيمانُكُم ذَلِك أَدنَى أَلا تَعولُوا** (35)، وقد وصفت السيدة عائشة رضي الله عنها حال الناس في الجاهلية: فكان كافل اليتيمة إن كانت جميلة تزوجها من غير أن يقسط في صداقها، وإن كانت ذميمة رغب عن نكاحها وعضلها(36) أن تنكح غيره، لئلا يشاركه في مالها، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا إليهن، ويبلغوا بهن أعلى سنتهن في الصداق، وإلاّ فلهم أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن، أي: كما أنه يرغب عن نكاحها إن كانت قليلة المال والجمال، فلا يحل له أن يتزوجها إن كانت ذات مال وجمال إلا بالإقساط إليها(37).

٣ ـ قال تعالى: **إِن الَّذِين يأْكُلُون أَموالَ الْيتَامى ظُلْماً إِنما يأْكُلُون فِي بطُونِهم نَاراً وسيصلَون سعِيراً** (38)، وفي الآية تحذير ووعيد بنار تشتعل في البطون، ومصير مخز في السعير، لكل من انتهك حرمة مال يتيم بسلبه أو مخالطته بنية فاسدة يهدف من ورائها أكل هذا المال.

٤ ـ قال تعالى: **ويسأَلُونَك عن الْيتَامى قُلْ إِصلاح لَهم خَير وإِن تُخَالِطُوهم فَإِخْوانُكُم والله يعلَم الْمفْسِد مِن الْمصلِحِ** (39)، وقد جاء سياق الآية الكريمة ليتولى الإجابة عن سؤال كان يؤرق الصحابة رضوان الله عليهم، يختص بحال اليتامى وكيفية التعامل معهم وإدارة أموالهم بشفافية وتجرد، حيث كان ولي اليتيم يتحرج عند مخالطته في طعامه وشرابه، ويتحرج حين اعتزاله فلا يشاركه في طعام ولا شراب، فشكوا ذلك للنبي ﷺ فنزلت الآية الكريمة(٤٠) لترفع الحرج عن المسلمين في مخالطتهم عند صفاء النية، وخلوصها من الفساد.

ويرى الباحثان أن المفسدين رغم كل هذا التهديد والوعيد لمن غبن يتيماً، أو خالطه في ماله بنية سيئة، فإنهم لا يتورعون عن ذلك ولا يمنعهم دين ولا خلق عن الظلم والفساد

---

[34] انظر: في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ ج٣ص١٢٣٢

[35] النساء: ٢، ٣

[36] منعها من الزواج ظلماً. انظر: لسان العرب ـ ابن منظور ـ ج١١ص٤٥١

[37] انظر: أضواء البيان ـ محمد الأمين الشنقيطي ـ ج١ص٢٦٧

[38] النساء: ١٠

[39] البقرة: ٢٢٠

[40] انظر: الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ـ ج٣ص٦٢،

والعدوان، فالاحتيال والالتفاف على أموال الأيتام صفة متأصلة في نفوسهم مهما بلغ التهديد والوعيد.

وما أكثر المفسدين في هذا الزمان الذين يعتدون على أموال شعوب بأكملها، فهم كالأيتام بل أشد، فشعوب بأكملها تسحق كرامتها، وتزال حكوماتها، ويتقلد المفسدون زمام أمرها، ثم يستولون على ثرواتها وتحرم تلك الشعوب المستضعفة من مالها، وتترك الشعوب لتعاني الفقر والجوع والحرمان، ثم بعد ذلك كله يتظاهر المفسدون بالشفقة على تلك الشعوب فيقيمون مراكز إغاثة لتنفق على المستضعفين فتات ما سلب من أموالهم ومقدراتهم، ولعل شعبنا في فلسطين، وشعوب أخرى في العراق والسودان وبلاد إفريقيا تجسد معاناتهم الصورة الحقيقية لهذا الفساد الذي يقوده ويشرف عليه قادة ما يسمى بالعالم الحر، الذي تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا في العلن، وتشرف عليه في الحقيقة الصهيونية العالمية وحلفاؤها من الصليبيين في جنح الظلام(٤١).

## **المطلب الثاني:** صفات ذات طابع اجتماعي

ونقصد بهذه الصفات تلك التي يتصف بها المفسدون وتؤدي إلى آثار سلبية في المجتمع الواحد، أو بين الأقرباء والأرحام، وقد أوقفتنا الآيات على أربع صفات ذات طابع اجتماعي سلبي، وهي على النحو التالي:

### **الصفة الأولى:** قطع الأرحام

الأرحام هم كل من قابل الأجانب، ويدخل فيهم الأصول والفروع والحواشي من قبل الأب، أو من قبل الأم(42)، وقد أمر الله تعالى بوصلها، والحفاظ على ودها، وجعل وصلها من الحقوق التي أمر الله بها، قال تعالى: **...واتقُوا الله الذِي تَساءلُون بِهِ والأرحام...** (43)، والتقوى بمدلولها الشرعي لا يراد بها إلا تقوى الله، لكن أريد هنا التقوى المتعلقة بحقوق العباد، ومن جملتهم أولو الأرحام(44)، وحقها أن توصل فلا تقطع· ولما كان الصالحون يصلون أرحامهم قربة لله تعالى، وطلباً في الرتب العالية عند الله عز وجل، وزيادة في الرزق وبركة في العمر، تحقيقاً لقوله ﷺ: **[من أحب أن يبسط له في**

---

(41) يراجع كتاب الغارة على العالم الإسلامي - ال شاتيلة ترجمة محب الدين الخطيب، الأفعى الصهيونية في معاقل الإسلام - عبد الله التل

(42) انظر: روح المعاني - الألوسي - ج٢٦ص٧٠

(43) النساء: ١

(44) انظر: روح المعاني - الألوسي - م٢ج٤ص١٨٤

**رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه]**(45)، فإن المفسدين لا يكترثون لشيء من ذلك، بل يخالفون أمر الله عز وجل، ويعدلون عما أوصى به المصطفى ﷺ، منطلقين بذلك من صفاتهم الفاسدة، ويرغبون من خلالها إفساد حياة المجتمعات من حولهم، فيقطعون كل الأواصر الطيبة التي تَحفظُ المجتمعات من شر المنازعات، وتقوي العلاقات بين الناس أفراداً وجماعات.

وما ذكر الله قطعية الرحم، أو قطع ما أمر الله بوصله في كتابه العزيز إلا وقرن ذلك بالفساد، قال تعالى: **الَّذِين ينقُضون عهد اللهِ مِن بعدِ مِيثَاقِهِ ويقْطَعون ما أَمر الله بِهِ أَن يوصَلَ ويفْسِدون فِي الْأَرضِ أُولَئِك هم الْخَاسِرون** (46)، وقال سبحانه: **والَّذِين ينقُضون عهد اللهِ مِن بعدِ مِيثَاقِهِ ويقْطَعون ما أَمر الله بِهِ أَن يوصَلَ ويفْسِدون فِي الْأَرضِ أُولَئِك لَهم اللعنَةُ ولَهم سوء الدارِ**(47)، وقال سبحانه: **فَهلْ عسيتُم إِن تَوليتُم أَن تُفْسِدوا فِي الْأَرضِ وتُقَطِّعوا أَرحامكُم** (48).

ويرى الباحثان أنه لا يقطع رحمه إلا من فسدت سجاياه، وانطوى على نفس شريرة، لا تحب الخير ولا تعرف للود طريقاً، ومن أفسد ما بينه وبين قرابته لا يرتجى منه خير، فيا لها من مفسدة أن يتصف الرجل بقطيعة رحمه، لذا فقد قرنت الآيات الثلاث قطيعة الرحم بالفساد.

**الصفة الثانية:** نقض العهود والمواثيق

للعهود والمواثيق شأن عظيم في الإسلام، لما لها من أهمية في ضبط العلاقات بين أفراد المجتمع وتأمين الحياة الكريمة لكل أفراده، وقد بين الله عز وجل لعباده أهمية الوفاء بالعهود والمواثيق في أكثر من موضع من كتابه العزيز، فمرة يأمر بالوفاء بها، قال تعالى: **يا أَيها الَّذِين آمنُوا أَوفُوا بِالْعقُودِ...** (٤٩)، وأخرى يبين أن الوفاء بالعهود من تقوى الله تعالى، قال تعالى: **...فَأَتِموا إِلَيهِم عهدهم إِلَى مدتِهِم إِن اللَّه يحِب الْمتَّقِين** (٥٠)، وقال سبحانه: **كَيفَ يكُون لِلْمشْرِكِين عهد عِنْد اللَّهِ وعِنْد رسولِهِ إِلَّا الَّذِين عاهدتُم عِنْد الْمسجِدِ الْحرامِ فَما استَقَاموا لَكُم فَاستَقِيموا لَهم إِن اللَّه يحِب الْمتَّقِين** (٥١).

---

(45) صحيح مسلم - كتاب البر والصلة - باب تحريم التحاسد والتباغض - ج٤ص١٩٨٢ - ح(٢٥٥٧)

(46) البقرة: ٢٧

(47) الرعد:٢٥

(48) محمد: ٢٢

(49) المائدة: ١

(50) التوبة: ٤

(51) التوبة: ٧

وقد عاب سبحانه وتعالى نقض العهود، فتارة جعله صفة من صفات الكفار والمنافقين، قال تعالى: **أَوكُلما عاهدوا عهدا نَبذَه فَرِيقٌ مِنْهم بلْ أَكْثَرهم لَا يؤْمِنُون** (٥٢)، وأخرى صفة للفاسقين الذين يعيثون في الأرض فساداً، قال تعالى: **...وما يضِلُ بِهِ إِلا الْفَاسِقِين * الَذِين ينقُضون عهد اللهِ مِن بعدِ مِيثَاقِهِ ويقْطَعون ما أَمر الله بِهِ أَن يوصلَ ويفْسِدون فِي الْأَرضِ أُولَئِك هم الْخَاسِرون** (٥٣)، وقال: **والَذِين ينقُضون عهد اللهِ مِن بعدِ مِيثَاقِهِ ويقْطَعون ما أَمر الله بِهِ أَن يوصلَ ويفْسِدون فِي الْأَرضِ أُولَئِك لَهم اللعنَةُ ولَهم سوء الدار** (٥٤).

ويفهم من سياق الآيات أن صفة نقض العهود والمواثيق صفة أصيلة للمفسدين، ويمكن بيان ذلك من خلال النقاط التالية:

١ - في الآيات السابقة ذكر الله عز وجل الذين ينقضون العهود والمواثيق، في سياق الحديث عن المفسدين في الأرض، وفي هذا بيان أن نقض العهود من صفات المفسدين.

٢ - قال تعالى: **أَوكُلما عاهدوا عهدا نَبذَه فَرِيقٌ مِنْهم بلْ أَكْثَرهم لَا يؤْمِنُون** (55)، تبين الآية الكريمة قبح صفات بني إسرائيل التي اشتهروا بها، وكان من أبرزها أنهم لا يثبتون على عهد، فيتعاهدون اليوم وينقضون في الغد(٥٦)، وهذا هو دأبهم على مدى الأزمان، وقد جاءت الآية في معرض الحديث عن نهي بني إسرائيل عن الفساد في الأرض، والتي بدأت في مرحلة متقدمة من السورة، حيث قال تعالى: **...ولا تَعثَوا فِي الْأَرضِ مفْسِدِين** (٥٧)، ثم بدأ الحديث عن فضح فسادهم.

**الصفة الثالثة:** البغض والحسد

البغض في اللغة المقت ونقيضه الحب(58)، والحسد تمني أن تتحول النعمة من المحسود إلى الحاسد(59)، والبغضاء والحسد تنقسم إلى قسمين:

١ - بغض وحسد محمودان، جاء مدحهما في الكتاب والسنة، فمن البغض الذي مدحه الله، بغض أعداء الله، بسبب عداوتهم لله ورسوله وللمؤمنين، قال تعالى: **قَد كَانَتْ لَكُم أُسوةٌ**

---

(52) البقرة: ١٠٠

(53) البقرة: ٢٦، ٢٧

(54) الرعد: ٢٥

(55) البقرة: ١٠٠

(56) انظر: تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج١ص٢١٦

(57) البقرة: ٦٠

(58) انظر لسان العرب - ابن منظور - ج٧ص١٢١

(59) انظر: لسان العرب - ابن منظور - ج٣ص١٤٨

**حسنَةٌ فِي إِبراهِيم والَّذِين معه إِذْ قَالُوا لِقَومِهِم إِنا برآء مِنكُم ومِما تَعبدون مِن دونِ اللَّهِ كَفَرنَا بِكُم وبدا بينَنَا وبينَكُم الْعداوةُ والْبغْضاء أَبدا حتى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وحده...** (60)، ومن الحسد الذي مدحته السنة قوله ﷺ **[لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به أناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار]**(61)، وليس هذا البغض أو الحسد الذي نحن بصدده.

٢- بغض وحسد مذمومان نهى الله عباده المؤمنين عن التخلق بها، لما يترتب عليهما من مخاطر، تفسد على المرء صفاء روحه ونفسه، ولا يتصف بهما إلا من كان مفسداً، قال تعالى: **...وأَلْقَينَا بينَهم الْعداوةَ والْبغْضاء إِلَى يومِ الْقِيامةِ كُلَّما أَوقَدوا نَاراً لِلْحربِ أَطْفَأَها اللَّه ويسعون فِي الْأَرضِ فَساداً واللَّه لا يحِب الْمفْسِدِين** (٦٢)، فسياق الآية الكريمة يتحدث عن اليهود، فهي تصور لنا حالة العداء والبغضاء التي تلبسوا بها، حتى أصبحوا لا يعرفون للود طريقاً، وأصبح البغض والعداء هو السمة الغالبة على طبيعة العلاقة بينهم، قال تعالى: **...تَحسبهم جمِيعاً وقُلُوبهم شَتَّى....** (٦٣)، ويترتب على تفشي صفة البغضاء والحسد في المجتمع أصنافٌ من الفساد أهمها إشعال الحروب وإراقة الدماء، وما يتبعها من تمزيق لوحدة الأمة والتئام صفها، قال تعالى: **...وأَلْقَينَا بينَهم الْعداوةَ والْبغْضاء إِلَى يومِ الْقِيامةِ كُلَّما أَوقَدوا نَاراً لِلْحربِ أَطْفَأَها اللَّه...** (٦٤)، فالحرب والقتال بين أبناء الأمة الواحدة مفسدة كبرى، تفقد الأمة وحدتها، وتُذهب قوتها، وتُمزق بنيانها، فليس عجيباً ولا غريباً أن يتصف المفسدون بهذه الصفات التي تدمر الأمم والشعوب وتحيل حياتها إلى جحيم، فهذا هو دأب المفسدين، لذلك كانت فاصلة الآية تتناسب مع السياق، قال تعالى: **...ويسعون فِي الْأَرضِ فَساداً واللَّه لا يحِب الْمفْسِدِين** .

ويرى الباحثان أن الحاقدين والمبغضين للمؤمنين، يدفعهم ما في قلوبهم من البغض لممارسة الفساد والتخريب، والقتل للأنفس، والحرق للزرع، والترويع للآمنين، قال تعالى: **وإِذَا تَولَّى سعى فِي الْأَرضِ لِيفْسِد فِيها ويهلِك الْحرثَ والنَّسلَ واللَّه لا يحِب**

---

(60) الممتحنة: ٤

(61) صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب فضل من يقوم بالقرآن - ج١ص٥٥٨- - ح(٨١٥)

(62) المائدة: ٦٤

(63) الحشر: ١٤

(64) المائدة: ٦٤

**الفساد** (٦٥)، فهذا المنافق الذي تناولته الآية الكريمة(٦٦)، ما فعل فعله إلا بسبب حقده وبغضه وحسده، المترتب على فساد متأصل في نفسه(٦٧).

والملوك حين دخولهم القرى عنوة وحرباً يفسدونها بقتل أحرارها وزعمائها، لضمان سلطانهم ودوام ملكهم، وما يدفعهم لفعل ذلك إلا حب الانتقام، والبغض والحسد الذي ملأ قلوبهم، قال تعالى على لسان ملكة سبأ: **...إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون** (٦٨).

ولعل ما تعانيه الأمة الإسلامية في هذه الأيام، من تسلط أفسد الأمم وأخسها، بالاستيلاء على أرضها، وقتل رجالها، وهتك أعراضها، وسلب خيراتها، والتشكيك في عقيدتها، ما هو إلا نتيجة للبغض والحسد الذي ملأ قلوبهم وذلك مصداق قوله تعالى: **ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء...** (69)، وقوله تعالى: **ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم...** (70).

**الصفة الرابعة: الغدر والخديعة**

يتودد المفسدون للناس بلين الكلام، ويسحرونهم ببلاغتهم وانطلاق ألسنتهم، حتى إن كثيراً من بسطاء الناس ليعجبون بأحاديثهم ويظنون بهم خيراً، وهم في حقيقة أمرهم يحملون أنياب الثعابين، قال تعالى: **ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام * وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد * وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد** (71)، يخبرنا الله عز وجل في هذه الآيات عن حال الأخنس بن شريق(72) وكل من على شاكلته ممن احترفوا الغدر والخداع بأساليبهم البراقة، حتى

---

(65) البقرة: ٢٠٥

(66) انظر: الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - م٢ج٣ص١٧

(67) انظر: المبصر لنور القرآن - نائلة هاشم صبري - ك١ج٢ص١٥٨

(68) النمل: ٣٤

(69) النساء: ٨٩

(70) البقرة: ١٠٩

(71) البقرة: ٢٠٤-٢٠٦

(72) نزلت في الأخنس بن شريق - وهو الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي أبو ثعلبة حليف بني زهرة اسمه أبي وإنما لقب الاخنس لأنه رجع ببني زهرة من بدر لما جاءهم الخبر أن أبا سفيان نجا بالعير فقيل: خنس الأخنس ببني زهرة فسمي بذلك ثم أسلم الأخنس فكان من المؤلفة وشهد حنينا ومات في أول خلافة عمر - قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعم أنه يريد الإسلام، وحلف أنه ما قدم إلا لذلك، ثم خرج فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر، فأحرق الزرع وعقر الحمر. انظر: لباب النقول في أسباب النزول - السيوطي - ص٢٧

إذا ما سنحت لهم الفرصة المناسبة كشفوا عن حقيقة نفوسهم الغادرة، وقلبوا للناس ظهر الغدر، فقتلوا النفوس، وأحرقوا الأخضر واليابس، وعاثوا فساداً وإفساداً، مفصحين بذلك عن حقيقة نفوسهم الفاسدة الغادرة.

ويرى الباحثان أن أصحاب هذه الصفة من المفسدين كثيرون في هذا الزمان، ممن يحترفون تصنع الكلام وزخرفه، تعجب من حديثهم حتى تظن أنهم قمة في الوفاء والأخلاق والنزاهة والحب، والتفاني في خدمة مجتمعاتهم، فيحتقر الصالحون أنفسهم، حتى إذا ما تمكنوا من رقاب الناس وتقدموا الصفوف، كشفوا عن أنيابهم، واستأثروا بمقدرات من حملوهم على أكتافهم وهتفوا لهم، وعاثوا في الأرض فساداً، وضربوا نوعاً من الرق على شعوبهم.

فهذه هي صفات المفسدين، وعلى هذه الطريقة يقيمون علاقاتهم مع الآخرين، لا يراعون رحماً ولا مودةً ولا صداقةً ولا عهداً ولا ذمة، إنه الفساد الذي يحجب صاحبه عن كل معاني الخير.

### **المطلب الثالث**: صفات عامة

ونقصد بالصفات العامة تلك التي يتصف بها المفسدون أنفسهم، وهي لاصقة بهم، ومتأصلة فيهم، وذلك من حيث الاعتداد بالرأي، مع التعالى وغمط الحق، وانحراف الأهواء، مع الصد عن سبيل الله، وأي صفات أشد ضرراً من هذه على أصحابها المفسدين، وإليك بيان هذه الصفات فيما يلي:

### **الصفة الأولى**: الاعتداد بالرأي

ومن صفات المفسدين أنهم يعتدون بآرائهم، ويزكون أنفسهم، ويغلقون أعينهم، ويصمون آذانهم عن الحقائق الدامغة حال مخالفتها لما يذهبون إليه، قال تعالى: **وإذا قِيلَ لهم لا تُفْسِدوا فِي الأَرض قَالُوا إِنما نَحن مصلِحون** (73)، فالآية الكريمة تصف المفسدين عند نهيهم عن الإفساد في الأرض، بأنهم يتبجحون بأعمالهم السيئة، ويصرون على صوابها، ويكون ردهم بكل إصرار: **...إِنما نَحن مصلِحون** ، وهم بذلك يجمعون بين العمل بالفساد، واعتقاد أنه عين الصلاح - وذلك من قبيل قلبهم للحقائق- وهذا أعظم جناية ممن يعمل المعصية، مع اعتقاد فسادها، فهذا أقرب للسلامة وأرجى للتوبة والإنابة(74).

---

(73) البقرة:١١

(74) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ عبد الرحمن السعدي ـ ج١ص٢٢

وإذا أخلص الدعاة النصح للمفسدين وذكروهم بالله، رأيت المفسدين يذهب بهم الغيظ والسفه كل مذهب، قال تعالى: **وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد * وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد** (75)، فإذا ذُكر هذا الفاسد الآثم بالله، امتنع وأبى وأخذته الحمية البغيضة والاعتداد بالنفس المريضة الآثمة للاستعلاء والإصرار على فساده، فأي نفس هذه التي تصر على المنكرات، ولا تستجيب لداعي الخير والرشاد، إنها النفس الفاسدة التي اغترت بذاتها وظنت أنها دوماً على الصواب.

ومثال آخر لفرعون الذي بلغ فساده كل مبلغ، فأصبح علماً للفساد والطغيان، قد اعتد بنفسه حتى غدا لا يرى الحق إلا في رأيه، قال تعالى على لسانه وهو يقول لقومه: **...قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد** (76)، إنه الاستخفاف بالآخرين، إنه الاعتداد بالنفس، الذي يسفه فيه المفسدون غيرهم، فلا يقيمون لهم وزناً، ولا يبقون لهم وجوداً.

ويرى الباحثان أن اعتداد المفسدين واعتقادهم بباطلهم رغم ضعفه، إنما هو نتيجة طبيعة للفساد الذي يتصفون به، والاغترار بالنفس المنحرفة التي استمرأت الفساد، فموقف المفسدين من الدعاة المصلحين تكشف لنا حقيقة هذه النفوس المريضة التي استحوذ عليها الفساد، فأصبحت لا ترى الحق إلا في سلوكها المنحرف، وقمة الفساد أن يغمض المرء عينيه عن الحقيقة، ويصم أذنيه عن الهدى، فلا يعرفان لقلبه طريقاً.

**الصفة الثانية**: التعالي وغمط الحق

ومن صفات المفسدين أنهم يتعالون ويستكبرون عن سماع الحق، ويرفضون الانقياد إليه، قال تعالى: **فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين** (77)، أي إن رفضوا الإجابة لما تدعوهم إليه، مع علمهم اليقين بصدقه - وهذا قمة الفساد - فالله تعالى لا يخفى عليه أمرهم، ولا تنطلي عليه صفات نفوسهم التي جبلت على الكبر والتعالي على الحق.

ويأتي سياق الآية تعقيباً على آية المباهلة(78)، إذ رفض القوم من وفد نجران دعوة النبي ﷺ إلى الابتهال إلى الله تعالى وأن يجعل لعنة الله على المكذبين، خشية أن يعودوا إلى

---

(75) البقرة: ٢٠٥، ٢٠٦

(76) غافر: ٢٩

(77) آل عمران: ٦٣

(78) **فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** . آل عمران:٦١.

ديارهم فيعاجلهم الله بالعقوبة فلا يبقى أهل ولا ولد(٧٩)، فقد رضوا بدينهم مع اعتقادهم القلبي ببطلانه، ورفضوا الحق مع اعتقادهم بصحته، وما هذا الرفض للحق وعدم الانقياد إليه إلا بسبب الكبر والفساد الذي ملأ قلوبهم، لذا كان التعقيب على آية المباهلة بالتأكيد على صدق ما جاء في القرآن من وصف للمسيح ابن مريم ﷺ بأنه عبد الله، قال تعالى: **إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم * فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين** (80).

ولعل هذا المشهد يتكرر مع سيدنا نوح عليه السلام، لما دعا قومه للهداية والإيمان، فلم يجد القوم ما يبررون به امتناعهم عن دعوته غير التعالي والاستكبار، فكلما دعاهم لمغفرة الله ورضوانه **وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا** (81)، فالقوم يضعون أصابعهم في آذانهم إمعاناً في الإصرار على عدم رغبتهم في الاستماع لنوح ﷺ، بل يبالغون في ذلك حين يضعون الثياب على وجوههم في حركة تفصح عن الاستكبار والاستعلاء بالباطل، وتكشف عن مدى الفساد الذي هيمن على النفوس، حتى لم يعد في وسعها سماع الحق.

ويرى الباحثان أن المفسدين في كل زمان يرفضون الانقياد للحق رغم كل الحجج البينة والأدلة الساطعة الدالة عليه، ويصرون على التمسك بباطلهم، فالمشركون من قريش لما طلبوا من النبي ﷺ أن يأتيهم بآية حتى يؤمنوا، فشق الله القمر تحقيقاً لطلبه ﷺ، فامتنع القوم عن الإيمان، وقالوا هذا سحر سحركم به(82) ، أليس هذا تعالياً وغمطاً للحق، دافعه الفساد؟ فساد العقيدة وحب الانتصار للنفس بغير الحق؟

**الصفة الثالثة**: انحراف الأهواء

هوى المرء ما يحب، والله عز وجل قد حبب الإيمان لعباده المؤمنين، وأمرهم بالصالحات وفعل الخيرات، قال تعالى: **...ولكن الله حبب إليكم الأيمان وزينه في قلوبكم...** (83)، وكره لهم الكفر والعمل بمعصيته، فقال: **...وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان...** (84)، والمفسدون قد انحرفت أهواؤهم عن معاني الخير والصفات القويمة، وضلت أخلاقهم عن الفطرة السليمة، ومالوا بأخلاقهم، وألفوا الفجور حتى غدا صفة لهم،

---

(79) تفسير الخازن المسمى لب التأويل في معاني التنزيل - علاء الدين علي بن محمد - ج١ص٣٦٠

(80) المائدة: ٦٢، ٦٣

(81) نوح: ٧

(82) انظر: القرآن العظيم - ابن كثير - ج٧ص٤٧٩

(83) الحجرات: ٧

(84) الحجرات ٧

ومعلماً من معالمهم، وقد حذر الله تعالى الْخَلْقَ وهددهم بفساد حياتهم، وفساد السموات والأرض إن ساروا على نهج المفسدين واتبعوا أهواءهم، قال تعالى: **ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدتِ السمواتُ والأرض ومن فِيهن بلْ أتيناهم بِذِكْرِهِم فهم عن ذِكْرِهِم معرضون** (85)، وقد بين المفسرون في معاني الآية وظلالها، أن الحق الذي جاء به القرآن موافقاً للفطرة، لو وافق هوى المفسدين والمشركين وما يشتهونه من الشرك والمعاصي، لفسدت السموات والأرض، وذلك بإقامة القيامة، وإهلاك الناس من فرط غضب الله عليهم(86).

ويرى الباحثان أن سياق الآية يوحي بأن أهواء المفسدين وما تحبه أنفسهم، لا يمكن بحال أن يلتقي مع الحق الذي جاء به المرسلون، وذلك لانحراف هذا الهوى وبعده عن الفطرة السليمة، ومنهج الله، ومكارم الأخلاق، وليس أدل على ذلك من حال قوم لوط الذين اشتهروا بالفساد، حيث وصفهم لوط ﷺ بصفات تبين انحراف أهوائهم، قال تعالى: **ولوطاً إِذْ قالَ لِقومِهِ إِنكُم لتأْتُون الفاحِشةَ ما سبقكُم بِها مِن أحدٍ مِن العالمِين * أئِنكُم لتأْتُون الرجالَ وتقْطعون السبِيلَ وتأْتُون فِي نادِيكُم المنكر فما كان جواب قومِهِ إِلا أن قالُوا ائْتِنا بِعذابِ اللهِ إِن كُنتَ مِن الصادِقِين * قالَ رب انصرنِي على القَومِ المفْسِدِين** (87)، فالآيات تخبر عن انحراف قوم لوط في إشباع حاجاتهم، وانحراف أهوائهم عن الفطرة الصحيحة، وميلهم عن طريق الرشاد في قضاء غريزتهم البشرية، وفي موضع آخر من كتاب الله تعالى يفصحون بكل سفور عن مدى انحرافهم، حيث دعاهم لوط ﷺ للكف عن هذا الهوى المنحرف، والعودة إلى الفطرة الأصيلة، قال تعالى على لسانه: **...قالَ ياقومِ هؤُلاءِ بناتِي هن أطْهر لكُم فاتقُوا الله ولا تُخْزونِي فِي ضيفِي أليس مِنْكُم رجلٌ رشِيد * قالُوا لقد عَلِمتَ ما لنا فِي بناتِك مِن حق وإِنك لتعلم ما نُرِيد** (88)، فأي هوى هذا وأي انحراف، إنها النفس الفاسدة التي استمرأت المعصية وأشربت الهوى المنحرف عن دين الله، فصدر عنها ما يفسد على المجتمع صفو الحياة، فاستحقوا غضب الله وشدة بطشه.

**الصفة الرابعة:** الصد عن سبيل الله

---

(85) المؤمنون: ٧١

(86) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل - البيضاوي - ج٢ص١١١

(87) العنكبوت: ٢٨ - ٣٠

(88) هود: ٧٨، ٧٩

من صفات المفسدين أنهم يصدون عن سبيل الله تعالى، ويضعون العقبات أمام الدعاة ليثنوهم عن طريقهم في دعوة الناس، وقد بين سبحانه وتعالى ذلك في كتابه العزيز، حيث قال: **الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون** (89)، وقال سبحانه: **ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين** (90)، فالآية الأولى تبين أن من صفات المفسدين وجملة أعمالهم صد الناس عن دعوة الله ودينه، لذلك استحقوا مضاعفة العذاب بسبب هذا الفساد، وفي الآية الثانية نهي لمدين عن فعل بعض الأعمال التي يبغضها الله عز وجل، ووصفَ فاعليها بالمغالين في الفساد، ومن جملة هذه المفاسد: الصد عن سبيل الله، فالمفسدون ساءت سجاياهم، وفسدت صفاتهم، وهم لا يحبون الخير للناس، ومن هذا المنطلق يقفون أمام الدعاة، فتارة يتصدون للناس في الطرقات يتوعدونهم ويرهبونهم، ليحولوا دون وصولهم إلى الأنبياء، وهذه هي حالة مدين كما تبين الآية السابقة، وتارة يقتلون الأنبياء والمصلحين ومن آمن معهم، كما هي الحالة في بني إسرائيل، قال تعالى: **...وقتلهم الأنبياء بغير حق...** (91)، وكما فعل فرعون والملأ من قومه حين قالوا: **...اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم...** (92)، وتارة يحيكون المؤامرات، ويضعون العراقيل، ويسفهون المؤمنين كما هي الحالة في قريش مع النبي ﷺ والذين آمنوا معه.

وتعدد وسائل المفسدين في الصد عن سبيل الله، لتَثْني الدعاة عن دعوتهم وفت عضدهم، وحرف الناس عن الإيمان، ليكونوا في الكفر سواء، قال تعالى: **ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء...** (93).

فالصد عن سبيل الله صفة لصيقة بالمفسدين، وهم لا يزالون يصدون عن سبيل الله في هذا الزمان، بل لعل أساليبهم تنوعت، ووسائلهم تعددت، وأصبح للمفسدين دول ترعى مصالحهم، وتتبنى برامجهم وسياساتهم، ومجالس تشرع لهم القوانين الفاسدة، وما يحدث اليوم في بلاد أوروبا من تشريع القوانين التي تسمح بارتباط الرجل عاطفياً بمثله (الشذوذ الجنسي)، وكذلك المرأة بمثلها، وأكثر من ذلك لأن برامج الأمم المتحدة ترعى هذه الوجهة!!(94).

---

(89) النحل: ٨٨

(90) الأعراف: ٨٦

(91) آل عمران: ١٨١

(92) غافر: ٢٥

(93) النساء: ٨٩

(94) وثيقة بكين لعام ١٩٩٥. انظر: مجلة الأزهر - السنة ٧٨ج٦ - يونيو/١٩٩٥

وما يجري اليوم من تآمر عالمي علي شعبنا الفلسطيني، دليل آخر على أن المفسدين لازالوا على ذات الطريق في الصد عن سبيل الله، فالنظام العالمي الجديد الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، وتنادي من خلاله بإعطاء الشعوب حقها في اختيار الحكومات التي تقودها وترعى مصالحها، فلما اختار الشعب في بلاد بيت المقدس - فلسطين - فئة مؤمنة، رافعة لراية التوحيد والإسلام، بدأت الولايات المتحدة وكل حلفائها بالتنكر ومعاقبة الشعب، لتثنيه عن طريق المؤمنين، وصده عن سبيل الله تعالى، فمنعوا المال وضيقوا على الناس أقواتهم(95).

ولا يقتصر صد المفسدين عن سبيل الله على ذلك، فهم يسخرون كل إمكانياتهم لحبك المؤامرات ضد الدعاة والمؤمنين، فالحصار الاقتصادي، والسجون، والقتل، والحروب النفسية، والشائعات الإعلامية، والبرامج الفاسدة عبر الفضائيات، والمواقع الفاسدة عبر شبكات الاتصالات المتنوعة، ونوادي القمار التي بدأت تغزوا بلاد المسلمين، والمجلات الإباحية، والمخيمات الصيفية التي تجمع بين الجنسين في المنتجعات البحرية، التي هيأت فيها كل وسائل الإغراء والإغواء، وترعاها جهات فاسدة، ومنظمات تحمل الحقد على دين الله، كل ذلك وغيره وسائل ابتدعها المفسدون لحرف الناس عن دين الله تعالى(96).

ورغم ذلك كله فإن الله ناصر دينه، وسيبطل كل جهودهم، بتسخير المخلصين من الدعاة العاملين، ومباركة جهدهم، قال تعالى: ...والله غَالِب علَى أَمرِهِ ولَكِن أَكْثَر النَّاسِ لا يعلَمون (97).

## المبحث الثاني

## نماذج مختارة من المفسدين ومصائرهم

**المطلب الأول:** أفراد اشتهروا بالفساد

إن الحديث عن نماذج لأفراد اشتهروا بالفساد أمر يطول نظراً لكثرة النماذج، فهناك على سبيل المثال فرعون، وقارون، والنمرود بن كنعان، وغيرهم ممن ذكرهم القرآن الكريم، ووصفهم بالمفسدين، ونظراً لمحدودية هذه الدراسة نكتفي بأشهرهم في الفساد وأكثرهم وروداً في القرآن، وهو " فرعون " ملك مصر، وذلك فيما يلي:

---

(95) (واشنطن تحظر كل التعاملات التجارية مع الحكومة الفلسطينية). انظر جريدة القدس العدد ( ١٣١٦٦) ١٤/٤/٢٠٠٦ - ص١.

(96) انظر: جريدة الرسالة - فلسطين - العدد ٢٩٦- ١١/٦/٢٠٠٤- ص١٢ مقال بعنوان (إسقاط الشباب في حمأة الرذيلة وتحويل المرأة إلى سلعة رخيصة).

(97) يوسف: ٢١

فرعون لقب لملوك مصر في فترة ما قبل موسى عليه السلام، ويقال كان اسم فرعون الذي كان في زمن موسى عليه السلام: الوليد بن مصعب بن الريان، وقيل مصعب بن الريان، فكان من سلالة عمليق بن الأود بن إرم بن سام بن نوح(98)، وقيل أصله فارسي من اصطخر(99).

ويعد فرعون رمزاً لكل من أفسده السلطان والجاه، حتى غدا مثلاً يضرب لكل ذي سلطان جائر عاث في الأرض فساداً، وذُكِر لفظ فرعون في القرآن سبعاً وستين مرة في إحدى وستين آية، كلها قد اقترنت بالفساد بكافة ألوانه، والإسراف فيه، ويمكن إجمال نواحي الفساد التي اشتهر فيها فرعون على النحو التالي:

### ١ ـ القتل وسفك الدماء

قال تعالى: **إن فِرعون علا فِي الْأرض وجعلَ أَهلها شِيعاً يستَضعِفُ طَائِفَةً منْهم يذَبح أَبنَاءهم ويستَحيِي نِساءهم إِنه كَان مِن الْمفْسِدِين** (100)، فكان فرعون يرسل القابلات(101) يتفقدن نساء بني إسرائيل، فمن رأينها قد حملت أحصوها، فإذا كان وقت ولادتها لا يقْبلها إلا نساء القبط، فإن ولدت المرأة جارية تركنها وذهبن، وإن ولدت غلاما دخل الذباحون بأيديهم الشفار(102) الحادة فقتلوه ومضوا، قتلهم الله تعالى(103).

فجريمةٌ هي قتلُ النفس التي اقترفت منكراً لا يستحق القتل، فكيف بقتل نفس بريئة؟ جريمتها أن تنتسب لقوم لا تملك بشأن هذا النسب حق الاختيار أو الاعتراض، أليس هذا هو قمة الظلم والفساد؟

### ٢- قهر الرعية وتعذيبها

لقد استأمن الله تعالى الحكام وذوي السلطان لرعاية مصالح الناس وخدمتهم، لكن الطاغية فرعون سام رعيته سوء العذاب، قال تعالى مبيناً جانباً من نعمته على بني إسرائيل: **وإذْ نَجينَاكُم مِن آلِ فِرعون يسومونَكُم سوء الْعذَابِ يذَبحون أَبنَاءكُم ويستَحيون نِساءكُم وفِي ذَلِكُم بلَاء مِن ربكُم عظِيم** (104)، فكان الفراعنة يعذبون بني

---

(98) انظر: تاريخ الأمم والملوك ـ للطبري ـ ج١ص١٧٥

(99) اصطخر بلدة في بلاد فارس لها مكانة تاريخية، وتعتبر من أقدم المدن.انظر: تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير ـ ج١ص٢١٩، انظر: معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ ج١ص٢١١

(100) القصص: ٤

(101) المرأة إذا قبلت الولد أي تلقته عند الولادة. انظر: لسان العرب ـ ابن منظور ـ ج١١ص٥٣٤

(102) الشفار جمع شفْرةُ وهي: السكين. انظر: كتاب العين ـ الفراهيدي ـ ج٦ص٢٥٤

(103) انظر: تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير ـ ج٦ص٢٣٥

(104) البقرة: ٤٩

إسرائيل، ويفرضون عليهم أشق الأعمال وأخسها، من الخدمة في المزارع وتشييد المباني الفارهة وغيرها، ويبقى الفراعنة أسياداً يتمتعون على حساب بني إسرائيل وآلامهم، ومع ذلك يقتلون أبناءهم ويبقون النساء للخدمة دون رحمة(105)، وكل ذلك كان بأمر من فرعون.

### ٣ ـ الاستعلاء بغير حق

قال تعالى مخبراً عن فرعون: **إِن فِرعون علا فِي الأَرضِ وجعلَ أَهلها شِيعاً يستَضعِفُ طَائِفَةً مِنْهم يذَبح أَبنَاءهم ويستَحيِي نِساءهم إِنه كان مِن الْمفْسِدِين** (106)، وقد أجملت الآية الكريمة علو فرعون أولاً، ثم بينت ما كان مجملاً، فقد تمثل علوه بالتفريق بين الرعية، واستذلال طائفة من الرعية لحساب طائفة أخرى، فأفسد ما بينهم وأغرى بينهم العداوة ليتفرد بسلطانه عليهم، ويحقق لنفسه ما يطمح إليه من السيادة على الجميع(٤)، وقد أعطى نفسه من الهالة والتعظيم ما لا ينبغي إلا لله.

### ٤- التكذيب بآيات الله

كان فرعون لعنه الله مسرفاً مغالياً في تكذيبه لآيات الله، فقد ابتلى الله تعالى فرعون وقومه بابتلاءات عديدة واضحة جلية(107)، تكفي الواحدة منها أن يخضع القلب من هولها خشوعاً وشكراً لله، لكن فرعون وملأه تمادوا في تكذيبهم وكفرهم بآيات الله فأهلكهم الله وجعلهم للناس عبرة.

### ٥- قطع أيدي الخصوم وأرجلهم

قال تعالى حكاية عن فرعون: **قَالَ آمنْتُم له قَبلَ أَن آذَن لَكُم إِنه لَكَبِيركُم الَّذِي علَّمكُم السحر فَلَأُقَطِّعن أَيدِيكُم وأَرجلَكُم مِن خِلَافٍ ولَأُصلِّبنَّكُم فِي جذُوعِ النخْلِ ولَتَعلَمن أَينَا أَشَد عذَابا وأَبقَى** (١٠٨)، إن التعذيب والتشويه والتنكيل وسيلة الباطل المفضلة في

---

(105) انظر: جامع البيان في تفسير أي القرآن ـ الطبري ـ ج١ص٢١٤

(106) القصص: ٤

(107) قال تعالى: ولَقَد أَخَذْنَا آلَ فِرعون بِالسنِين ونَقْصٍ مِن الثمراتِ لَعلهم يذكرون * فَإِذَا جاءتْهم الْحسنَةُ قَالُوا لَنَا هذِهِ وإِن تُصِبهم سيئَةٌ يطيروا بِموسى ومن معه أَلَا إِنما طَائِرهم عِنْد اللهِ ولَكِن أَكْثَرهم لَا يعلَمون * وقَالُوا مهما تَأْتِنَا بِهِ مِن آيةٍ لِتَسحرنَا بِها فَما نَحن لَك بِمؤْمِنِين * فَأَرسلْنَا علَيهم الطوفَان والْجراد والْقُملَ والضفَادِع والدم آياتٍ مفَصلَاتٍ فَاستَكْبروا وكَانُوا قَوما مجرِمِين * ولَما وقَع علَيهم الرجز قَالُوا ياموسى ادع لَنَا ربك بِما عهِد عِنْدك لَئِن كَشَفْتَ عنا الرجز لَنُؤْمِنَن لَك ولَنُرسِلَن معك بنِي إِسرائِيلَ * فَلَما كَشَفْنَا عنْهم الرجز إِلَى أَجلٍ هم بالِغُوه إِذَا هم ينكُثُون الأعراف: ١٣٠-١٣٥

(108) طه: ٧٠

مواجهة الحق، فأهل الباطل لا يملكون في مواجهة الحق حجة ولا برهاناً، لا يملكون إلا البطش والتنكيل(109)، وهذا هو فعل المفسدين من الطواغيت في كل زمان ومكان.

### ٦- نقض العهود

وقد تجسد فساد فرعون أيضاً بنقض العهود والمواثيق، فقد برع وقومه في نقض كل عهد لهم مع موسى عليه السلام، قال تعالى: **ولما وقع عليهم الرجز قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عِنْدك لئن كَشَفْتَ عنا الرجز لنُؤْمِنَن لك ولنُرسِلن معك بني إِسرائيلَ * فلما كَشَفْنَا عنْهم الرجز إِلى أَجلٍ هم بالِغُوه إِذَا هم ينكثُون** (١١٠)، لما أخذ الله فرعون وقومه بأصناف العذاب، كانوا يعاهدون موسى عليه السلام لئن رفع ربك عنا العذاب لنتبعك ونطلق بني إسرائيل، فإذا كشف الله عنهم العذاب، غدروا ونكثوا.

### ٧- الكبر

والكبر من صفات المفسدين التي برع فيها فرعون وقومه، حتى غدوا أعلاماً للكبر والفساد، قال تعالى: **واستكْبر هو وجنُوده فِي الْأرض بِغَير الْحق وظنوا أَنهم إِلينَا لا يرجعون** (١١١)، كما رفض الإيمان بالله واليوم الآخر، مع استقرار حقيقته في نفسه تكبراً واستعلاء، قال تعالى: **وجحدوا بِها واستيقَنَتْها أَنْفُسهم ظلْماً وعلُواً فَانْظُر كيفَ كَان عاقِبةُ الْمفْسِدِين** (112)، فما صده عن الإيمان إلا الكبر، فقد كان موسى عليه السلام وقومه خدماً لدى فرعون وقومه، قال تعالى حكاية عن فرعون وملئه: **فَقَالُوا أَنُؤْمِن لِبشَرين مِثْلنَا وقَومهما لنَا عابِدون** (113)، وهذه غاية الكبر والتجبر.

### ٨ ـ ادعاء الألوهية والربوبية

وقد علمنا أن من أسباب الفساد اعتقاد تعدد الآلهة، وقد عمل فرعون على ترسيخ هذا المعتقد في قومه حتى قال له قومه: **وقَالَ الْملأُ مِن قَومِ فِرعون أَتَذَر موسى وقَومه لِيفْسِدوا فِي الْأَرضِ ويذَرك وآلِهتَك...** (114)، وقد بين المفسرون(115). أن الآلهة التي ترك موسى وقومه عبادتها هي آلهة قوم فرعون التي كانوا يعبدونها من دون الله، وقد نصب

---

(109) انظر: في ظلال القرآن الكريم ـ سيد قطب ـ ج٣ص١٣٥١

(110) الأعراف: ١٣٤، ١٣٥

(111) القصص: ٣٩

(112) النمل ١٤

(113) المؤمنون: ٤٧

(114) الأعراف: ١٢٧

(115) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن ـ الطبري ـ م٦ج٩ص١٧، انظر: الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ـ ج٧ص٢٣١

فرعون من نفسه إلهاً يعبد من دون الله، قال تعالى: **وقالَ فِرعون ياأيها الملأ ما علِمتُ لكُم مِن إلهٍ غيري...** (116)، ولم يكتف بهذا القدر من الكفر والغلو، بل ادعى لنفسه الربوبية، قال تعالى حكاية عن فرعون: فَحشَر فنَادى * فقَالَ أنَا ربكُم الْأعلَى (117).

## ٩- اتهام المرسلين بالفساد

لقد قذف فرعون موسى عليه السلام بالفساد في الأرض، قال تعالى: وقالَ فِرعون ذَروني أقْتُلْ موسى ولْيدع ربه إني أخَافُ أن يبدلَ دِينَكُم أو أن يظْهِر فِي الْأرضِ الْفَساد (118)، وقد أراد فرعون بهذا الادعاء صد الناس عن دعوة موسى ﷺ، ومن هنا كان هذا الاتهام أسلوباً من أساليب فرعون للصد عن سبيل الله عز وجل.

## ١٠- الاعتداد بالرأي وتسفيه الآخرين

والاعتداد بالنفس من أفعال المفسدين، وقد كان فرعون متميزاً في هذا الجانب، إذ بلغ فيه الأمر أن يسفه الناس أجمعين، ولا يرى الصواب إلا في رأيه، قال تعالى: **.... قالَ فِرعون ما أُريكُم إلا ما أَرى وما أَهدِيكُم إلا سبِيلَ الرشَادِ** (119)

## مصير فرعون العاجل:

**لقد تمثل عقاب فرعون في الدنيا بأمرين:**

**الأول:** الغيظ، رغم كل الأساليب الظالمة التي مارسها فرعون على بني إسرائيل، المتمثلة في قتل الذكران من مواليدهم، واستذلال رجالهم ونسائهم، فقد ترعرع موسى ﷺ في حجر فرعون، حتى غدا فتى جلداً، وقد كانت نهاية فرعون وعرشه على يدي موسى ﷺ، ليكون ذلك أشد نكاية وحسرة له، قال تعالى واصفاً الغيظ الذي ملأ قلب فرعون وهو يطارد موسى ﷺ: إن هؤُلاءِ لَشِرذِمةٌ قَلِيلُون * وإنهم لنَا لَغَائِظُون (120).

**الثاني:** سوء الخاتمة، لقد تطاول فرعون وظن أنه مالك الأرض والبشر والماء، قال تعالى واصفاً غروره: ونَادى فِرعون فِي قَومِهِ قالَ يا قَومِ أليس لِي ملْك مِصر وهذِهِ الْأَنْهار تَجري مِن تَحتِي أفَلا تُبصِرون (121)، فكان عقابه أن أُغرِقَ وجنده في البحر، يوم أن طارد موسى وقومه، وبلعته المياه في معينها، ثم ألقته إلى الشاطئ ذليلاً مهيناً يركل

---

(116) القصص: ٣٨

(117) النازعات: ٢٣، ٢٤

(118) غافر: ٢٦

(119) غافر: ٢٩

(120) الشعراء: ٥٤، ٥٥

(121) الزخرف: ٥١

بالنعال، ليكون لمن خلفه آية، قال تعالى: فَالْيوم نُنَجيك بِبدنِك لِتَكُون لِمن خَلْفَك آيةً وإِن كَثِيراً مِن الناسِ عن آياتِنَا لَغَافِلُون (122).

**المطلب الثاني:** أمم اشتهرت بالفساد

إن الحديث عن أمم اشتهرت بالفساد قضية يطول سردها، خاصة إذا أردنا الإحاطة بكل النماذج التي تحدث عنها القرآن الكريم، فهناك بنو إسرائيل، وقوم لوط، ويأجوج ومأجوج وغيرهم، إلا أننا سنتحدث عن نموذج واحد كما هو الحال في المطلب الأول بعداً عن الإطالة، وحرصاً على حدود البحث، وليكن هذا النموذج هو أشهر نموذج لأمة اشتهرت بالفساد، وهم "بنو إسرائيل" وذلك فيما يلي:

بنو إسرائيل هم أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن، ويدعى يعقوب إسرائيل بمعنى عبد الله وصفوته.

ويعد السواد الأعظم من بني إسرائيل مثلاً سيئاً لأهل الكتاب، إذ أكرمهم الله بالنبوة والكتاب فقابلوا هذه النعمة العظيمة بالانحراف والفساد، حتى غدا الفساد والإفساد مقترناً بقصصهم في القرآن الكريم، فلا تكاد سورة تتناول تكذيب المرسلين، والكفر بأنعم الله تعالى، وإفساد الأمم في الأرض، إلا وتَذكُر قصة من قصصهم كشاهد على ذلك، ولما وصف الله تعالى في كتابه العزيز علو بني إسرائيل، وتمكينهم في الأرض قرنه بالفساد، قال تعالى: وقَضينَا إِلَى بنِي إِسرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدن فِي الْأَرضِ مرتَينِ ولَتَعلُن علُوا كَبِيرا (123)، فالحديث عن فسادهم وإفسادهم يطول، ولا مبالغة إن قيل: إن الحديث عن فساد بني إسرائيل يحتاج إلى بحث مستقل، لكثرة صوره وتعدد جوانبه، ولكن نكتفي بأن نذكر بعضاً من صور هذا الفساد ويمكن بيان ذلك فيما يلي:

### أولاً: فساد العقيدة عند بني إسرائيل

#### ١ - في الإلهيات

أ - إنكار صفات الله تعالى، قال تعالى: **لَقَد سمِع اللَّه قَولَ الَّذِين قَالُوا إِن اللَّه فَقِير ونَحن أَغْنِياء سنَكْتُب ما قَالُوا وقَتْلَهم الْأَنْبِياء بِغَيرِ حق ونَقُولُ ذُوقُوا عذَاب الْحرِيقِ** (124)، وقائل هذه المقولة الشنيعة هم قوم من يهود(125) غرهم إنعام الله عليهم، والله سبحانه وتعالى هو الغني، المتفضل على خلقه، فما من نعمة في الوجود إلا بفضل

---

(122) يونس: ٩٢

(123) الإسراء:٤

(124) آل عمران: ١٨١

(125) انظر: الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ج٤ص٢٨٦

منه عز وجل، قال تعالى: وما بِكُم مِن نِعمةٍ فَمِن اللهِ... (126)، وبنو إسرائيل بمقولتهم هذه ينفون صفة الغني لله تعالى، وإنكار صفات الله تعالى صفة للمفسدين.

ب - نَسب الولد لله، قال تعالى: وقَالَتِ الْيهود عزير ابن اللهِ وقَالَتِ النصارى الْمسِيح ابن اللهِ ذَلِك قَولُهم بِأَفْواهِهِم يضاهِئُون قَولَ الَّذِين كَفَروا مِن قَبلُ قَاتَلَهم اللَه أَنى يؤْفَكُون ﴿رجب صفر محرم﴾، فهم بقولهم هذا يشابهون قول الكفار والوثنيين، إذ ينسبون الولد لله تعالى، والله مبرأ من ذلك، وهذا دليل على فساد في عقيدتهم.

## ٢ـ في النبوات

تكذيب الأنبياء وقتلهم، قال تعالى مخاطباً بني إسرائيل: **...أَفَكُلَّما جاءكُم رسولٌ بِما لَا تَهوى أَنفُسكُم استَكْبرتُم فَفَرِيقًا كَذَّبتُم وفَرِيقًا تَقْتُلُون** (128)، في الآية الكريمة بيان لصفة متأصلة عند اليهود، ألا وهي عداؤهم للمصلحين من الناس، وعلى رأس هؤلاء المصلحين الرسل الكرام، فقد كذبوا موسى عليه السلام فقالوا: **...لَن نُؤْمِن لَك حتَّى نَرى اللَّه جهرةً...** (129)، وكذبوا عيسى عليه السلام، وعملوا جاهدين على صلبه وقتله، فسلمه الله تعالى منهم فرفعه إليه، قال تعالى: **وقَولِهِم إِنَّا قَتَلْنَا الْمسِيح عِيسى ابن مريم رسولَ اللَّهِ وما قَتَلُوه وما صلَبوه ولَكِن شُبه لَهم...** (130)، وكذبوا محمداً ﷺ وحرص يهود بني النظير على قتله لولا أن سلمه الله تعالى منهم(131)، وقتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام(132).

## ٣ـ في الملائكة الكرام

وقد تمثل فسادهم في الاعتقاد بالملائكة ببغضهم جبريل عليه السلام، قال تعالى: **قُلْ من كَان عدواً لِجِبرِيلَ فَإِنَّه نَزلَه علَى قَلْبِك بِإِذْنِ اللَّهِ مصدقاً لِما بين يديهِ وهدى وبشْرى لِلْمؤْمِنِين** (133)، أجمع أهل التفسير جميعا، على أن هذه الآية نزلت جوابا لليهود، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم (134)، فهل هناك أفسد عقيدة ممن يدعي الإيمان، ثم يعلن عداوته للملائكة الكرام؟، فكيف إذا كانت العداوة لأمين وحي السماء؟

---

(126) النحل: ٥٣

(127) التوبة: ٣٠

(128) البقرة: ٨٧

(129) البقرة: ٥٥

(130) النساء: ١٥٧

(131) انظر: تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج٨ص٢٩، السيرة النبوية - ابن هشام - م١ج٢ص١٥٨

(132) انظر: الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ج٢ص٢٦

(133) البقرة: ٩٧

(134) انظر: جامع البيان لأحكام القرآن - الطبري - ج١ص٣٧٠

## ثانياً فساد السلوك والأخلاق عند بني إسرائيل

فكما ساء خُلُقُ اليهود وأدبهم مع الله تعالى ورسله الكرام، كذلك ساء خلقهم وسلوكهم مع خَلْق الله تعالى، قال تعالى: **وتَرى كَثِيرا مِنْهم يسارعون فِي الْإِثْمِ والْعدوان وأَكْلِهِم السحتَ لِبئْس ما كانُوا يعملُون * لولَا ينْهاهم الربانِيون والْأَحبار عن قَولِهم الْإِثْم وأَكْلِهم السحتَ لِبئْس ما كانُوا يصنَعون * وقَالَتْ الْيهود يد اللهِ مغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيدِيهم ولُعِنُوا بِما قَالُوا بلْ يداه مبسوطَتَان ينفِقُ كَيفَ يشَاء ولَيزِيدن كَثِيرا مِنْهم ما أُنزِلَ إِلَيك مِن ربك طُغْيانًا وكُفْرا وأَلْقَينَا بينَهم الْعداوةَ والْبغْضاء إِلَى يومِ الْقِيامةِ كُلَّما أَوقَدوا نَارا لِلْحربِ أَطْفَأَها الله ويسعون فِي الْأَرضِ فَسادا واللَّه لَا يحِب الْمفْسِدِين** (135) وقد بينت الآيات جوانب متعددة من فساد بني إسرائيل السلوكي والأخلاقي، ويمكن بيان هذه الجوانب كما يلي:

**١ـ المسارعة في العدوان:** فالآيات تبين صورة القوم وهم يتسابقون في العدوان ويسعون إليه بهمة ونشاط، ولعل هذه الصفة يتوارثها بنو إسرائيل جيلاً بعد جيل.

فأول أسلوب لجأ إليه إخوة يوسف في معالجة حب أبيهم ـ الزائد في نظرهم ـ ليوسف ﷺ هو القتل أو النفي أو الإبعاد، وهذا قمة الظلم والعدوان على طفل بريء لا ذنب له، إلا أن أباه شديد العطف عليه لحداثة سِنهِ قياساً بإخوانه، قال تعالى: **إِذْ قَالُوا لَيوسفُ وأَخُوه أَحب إِلَى أَبِينَا مِنا ونَحن عصبةٌ إِن أَبانَا لَفِي ضَلَالٍ مبِينٍ** (136)، فالحل عندهم كما أخبر سبحانه وتعالى عنهم: **اقْتُلُوا يوسفَ أَوِ اطْرحوه أَرضا يخْلُ لَكُم وجه أَبِيكُم وتَكُونُوا مِن بعدِهِ قَوما صالِحِين** (137)، فإذا كان هذا هو شأنهم مع أخيهم وابن أبيهم، فلا نَستَغْرب شدة بطشهم وعدوانهم وظلمهم لغيرهم من سائر الأمم والشعوب، وهم الذين يطلقونه شعاراً صريحاً حين يقولون: **...لَيس علَينَا فِي الْأُميين سبِيلٌ...** (138)، إنه الإعلان السافر عن استعدادهم النفسي، لاستباحة كل الحواجز الأخلاقية والدينية، التي تحول دون الظلم أو العدوان.

ولعل حال شعبنا العربي المسلم في فلسطين مع بني إسرائيل يجسد هذه الحالة في عدوانهم المستمر، الذي لا يعرفُ له مثيل على مدى قرون كثيرة من الزمان، إلا ما يحكى عن أساطير الغابرين، فلا يسلم من ظلمهم وعدوانهم طفل ولا امرأة، ولا شجر ولا حجر،

---

(135) المائدة: ٦٢-٦٤

(136) يوسف: ٨

(137) يوسف: ٩

(138) آل عمران: ٧٥

فقد تجاوز ظلمهم كل القيم الأخلاقية والحضارية، وفاق كل تصور، وهذا هو قمة ما يمكن أن يصل إليه فساد المفسدين.

**٢- أكلهم السحت:** والسحت هو أكل المال بغير حق، من رشوة وربا وسلب ونهب، وغير ذلك من الأساليب التي حرمها الله عز وجل، قال تعالى: **وَأَخْذِهِم الربا وقَد نُهوا عنْه وأَكْلِهِم أَموالَ الناس بِالْباطِل وأَعتَدنا لِلْكافِرِين منْهم عذَابا أَلِيما** (139)، فقد أكلوا الربا عن قصد وإصرار، وأكلوا أموال الناس بكل أشكال الباطل وصوره، ومن الصور الشهيرة عنهم، قبول حكامهم الرشوة، وأخذ المال على كتب كتبوها بأيدهم ونسبوها لله تعالى(140)، وأنكروا الأمانة، قال تعالى: **...ومنْهم من إِن تَأْمنْه بِدِينَارٍ لا يؤَدِه إِلَيك إِلا ما دمتَ علَيهِ قَائِماً ذَلِك بِأَنهم قَالُوا لَيس علَينَا فِي الْأُميين سبِيلٌ...** (141)، وكل هذا من أساليبهم المنكرة في أكل أموال الناس بغير حق.

**٣- الحسد:** فقد دفع الحسد بني إسرائيل الأوائل إلى التفكير في قتل أخيهم يوسف عليه السلام والتخلص منه، وقد خاض أمرهم إلى إلقائه في غيابة الجب، ودفعهم الحسد إلى التنكر لنبي آخر الزمان محمد ﷺ ومحاربته، لأنه من غير جنسهم، فقد جاء في كتاب " السيرة النبوية " لابن هشام، "أن صفية بنت حيي بن أخطب قالت: كنت أَحب ولد أَبِي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم أَلْقَهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل قباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أَبِي حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين(142)، قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت: فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى، قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي واحد منهما مع ما بهما من الغم، قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو ؟ قال: نعم والله، قال: أتعرفه وتثبته ؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه ؟ قال: عداوته والله ما بقيت!"(143).

**٤- التباغض والعدواة فيما بينهم:** البغض والعداوة من صفات اليهود التي صاحبتهم على مدى الزمان، فلا تجتمع قلوبهم، وكلما أوشك رأيهم أن يجتمع على أمر شتتهم الله

---

(139) النساء: ١٦١

(140) انظر: جامع البيان لأحكام القرآن - الطبري - م٤ج٦ص١٧

(141) آل عمران: ٥٧

(142) أي مبكرين في عتمة الصبح. انظر: لسان العرب - ابن منظور - ج٦ص١٥٦

(143) السيرة النبوية - ابن هشام - م١ج٢ص١٢١

وأبطله لسوء فعلهم(144)، فتدب العداوة وتنشأ الفرقة، قال تعالى: **...تَحسبهم جميعاً وقُلُوبهم شَتى ذَلِكَ بِأَنهم قَوم لا يعقِلُون** (145).

**٥- إشعال الحروب بين الأمم والشعوب:** رغم أن اليهود من أجبن الأمم وأحرصهم على حياة، إلا أنهم برعوا في إشعال الحروب بين الأمم والشعوب، من خلال إذكاء الفتن بينهم، وإمداد هؤلاء وهؤلاء لينهك بعضهم بعضاً، وتبقى لهم الغلبة والسيادة على الجميع، ولكن الله عز وجل تكفل برد كيدهم، وإبطال مكرهم، وقد كانوا يشاركون في بعض هذه الحروب لتزداد حدتها وضراوتها، كما كان يحدث في الحرب الطاحنة بين الأوس والخزرج في المدينة قبل هجرة النبي ﷺ فقد كان بنو قريظة والنضير حلفاء الأوس، وبنو قينقاع حلفاء الخزرج﴿146﴾، فرد الله كيد اليهود وأطفأ نارهم، بأن هدى الأوس والخزرج للإسلام فوحدهم الله وأعزهم بالإسلام، فأصبحوا يداً على من سواهم من الكفار والمشركين.

**٦- سفك الدماء:** قال تعالى: **وإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُم لا تَسفِكُون دِماءكُم ولا تُخْرِجون أَنفُسكُم مِن دِيارِكُم ثُم أَقْررتُم وأَنْتُم تَشْهدون * ثُم أَنْتُم هؤُلاء تَقْتُلُون أَنفُسكُم وتُخْرِجون فَرِيقًا مِنْكُم مِن دِيارِهِم تَتَظَاهرون علَيهِم بِالْإِثْمِ والْعدوانِ...** ﴿147﴾وقد سفك اليهود دماء بعضهم، وأسر بعضهم بعضاً، وأخرجوا أنفسهم من ديارهم دون حق، وضربوا الجزية على أنفسهم، فعلوا ذلك وهم يحملون التوراة في أيديهم، ويعلمون حرمة ما يفعلون﴿148﴾.

فإذا كان هذا فعلهم بأنفسهم رغم عهد الله عليهم، فلا عجب أن نرى ما يفعله اليهود بالشعب الفلسطيني المجاهد في هذا الزمان، من قتل وسفك لدماء الأطفال والشيوخ والنساء - غدراً وبدم بارد - دون أدني مبرر أو ذنب، فالقتل وسفك الدماء روح خبيثة تسري في دمائهم.

**٧ - نقض العهود والمواثيق:** قال تعالى: **أَوكُلَّما عاهدوا عهداً نَبذَه فَرِيقٌ مِنْهم بلْ أَكْثَرهم لا يؤْمِنُون** ﴿149﴾، وهذه صورة أخري من صور فساد اليهود، إنهم لا يعرفون عهداً ولا ميثاقاً، فقد أخذ الله عليهم المواثيق فنقضوها، قال تعالى: **وإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُم لا**

---

(144) انظر: جامع البيان لأحكام القرآن - الطبري - م٤ج٦ص١٩٤

(145) الحشر: ١٤

(146) انظر: الرحيق المختوم - صفي الدين المبارك فوري - ص٢٠٢، انظر: جامع البيان لأحكام القرآن - الطبري - ج١ص٣١٢

(147) البقرة: ٨٥، ٨٦

(148) انظر: جامع البيان لأحكام القرآن - الطبري - ج١ص٣١٤

(149) البقرة: ١٠٠

**تَسفِكُون دِماءكُم ولا تُخْرجون أَنفُسكُم مِن دِيارِكُم ثُم أَقْررتُم وأَنْتُم تَشْهدون * ثُم أَنْتُم هؤُلاء تَقْتُلُون أَنفُسكُم وتُخْرِجون فَرِيقًا مِنْكُم مِن دِيارِهِم تَظَاهرون علَيهِم بِالْإِثْمِ والْعدوانِ...** (150)، وقد أخذ نبينا ﷺ منهم عهود الأمان والدفاع المشترك عن المدينة المنورة(151)، فنقضوا كل ذلك، فأخرج طائفة(152) منهم وقتل طائفة(153).

ويهود اليوم هم يهود الأمس، لا يحترمون عهداً ولا ميثاقاً، ولا يلتزمون بقانون سماوي ولا وضعي، يقرون بالعهود الدولية حين يوقع عليها ساستهم، ولا يتقيدون بها، فحقوق الشعوب الواقعة تحت الاحتلال، وحقها في الدفاع عن نفسها، وحقوق الأسرى وضرورة معاملتهم معاملة أسرى الحروب، وغيرها من الحقوق المدنية، كلها عهود ومواثيق أقرتها حقوق الإنسان في اتفاقية جنيف الرابعة(154)، ثم يدوسها اليهود بآلتهم العسكرية، دون رقيب ولا حسيب، إنه الفساد الذي فاق كل الحدود.

**٨ - نشر الفساد في الأرض:** قال تعالى: **وقَضينا إِلَى بنِي إِسرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدن فِي الْأَرضِ مرتَينِ ولَتَعلُن علُوا كَبِيرا** (155)، فسياق الآية الكريمة يبين أن بني إسرائيل كلما ازدادوا علواً ورفعة وتمكيناً في الأرض، اتخذوا هذا العلو مطية للفساد والإفساد(156)، وهم يخالفون بفعلهم هذا صفات عباد الله الصالحين، الذين قال الله في شأنهم: **الَّذِين إِن مكَّناهم فِي الْأَرضِ أَقَاموا الصلَاةَ وآتَوا الزكَاةَ وأَمروا بِالْمعروفِ ونَهوا عنِ الْمنكَرِ ولِلَّهِ عاقِبةُ الْأُمورِ** (157).

## مصير بني إسرائيل

إن بني إسرائيل أمة ذات كتاب ورسالة، وقد من الله عليها برسل كرام على مدى الزمان، بدءاً بموسى عليه السلام وختاماً بعيسى عليه السلام، وقد خصهم الله بنعم عديدة لا حصر لها، مادية ومعنوية، وفضلهم على كل أمم زمانهم، وقد ذكرهم بهذه النعم العظيمة في أكثر من آية في القرآن الكريم، قال تعالى: **وإِذْ نَجيناكُم مِن آلِ فِرعون يسومونَكُم سوء**

---

(150) البقرة: ٨٥، ٨٦

(151) انظر: السيرة النبوية - ابن هشام - م١ج٢ص١٠٨

(152) بني النضير. انظر: السيرة النبوية - ابن هشام ابن - م٢ج ١ص ١١٠

(153) بني قريظة. انظر السيرة النبوية - ابن هشام - م٢ج١ص١٤٣

(154) انظر: إسرائيل واتفاقية جنيف الرابعة - عبدالله أبو عيد - مجلة صامد الاقتصادي - عدد ٨٧ص ١٢٤

(155) الإسراء:٤

(156) انظر: في ظلال القرآن - سيد قطب - ج٤ص٢٢١٣

(157) الحج: ٤١

**الْعذَابِ يذَبحون أَبنَاءكُم ويستَحيون نِساءكُم وفِي ذَلِكُم بلَاء مِن ربكُم عظِيم * وإِذْ فَرقْنَا بِكُم الْبحر فَأَنْجيناكُم وأَغْرقْنَا آلَ فِرعون وأَنْتُم تَنظُرون** [158]، **وظَلَلْنَا علَيكُم الْغَمام وأَنزلْنَا علَيكُم الْمن والسلْوى كُلُوا مِن طَيباتِ ما رزقْنَاكُم...** [159]، **وإِذْ استَسقَى موسى لِقَومِهِ فَقُلْنَا اضرب بِعصاك الْحجر فَانفَجرتْ مِنْه اثْنَتَا عشْرةَ عينًا قَد علِم كُلُّ أُنَاسٍ مشْربهم كُلُوا واشْربوا مِن رِزق اللهِ...** [160]، ورفع مكانتهم فجعل منهم الملوك والعلماء **وإِذْ قَالَ موسى لِقَومِهِ ياقَومِ اذْكُروا نِعمةَ اللهِ علَيكُم إِذْ جعلَ فِيكُم أَنْبِياء وجعلَكُم ملُوكًا وآتَاكُم ما لَم يؤْتِ أَحدا مِن الْعالَمِين** [161]، فلما قابل بنو إسرائيل هذه النعم بالفساد في الأرض والعلو والطغيان، سلط الله تعالى عليهم عذاباً من جنس فسادهم، فلما قابلوا نعمة الطعام بالبطر، قابل بطرهم بتحريم كثير من الطيبات التي أحلها لهم، قال تعالى: **فَبِظُلْمٍ مِن الَّذِين هادوا حرمنَا علَيهِم طَيباتٍ أُحِلَّتْ لَهم ...** [162]، ولما علوا على الناس وظلموا وأفسدوا، ضرب عليهم الذلة والهوان، قال تعالى: **ضرِبتْ علَيهِم الذِّلَّةُ أَين ما ثُقِفُوا إِلَّا بِحبلٍ مِن اللهِ وحبلٍ مِن الناس وباءوا بِغَضبٍ مِن اللهِ وضرِبتْ علَيهِم الْمسكَنَةُ...** [163]، ولما أفسدوا حرمة السبت، تكفل الله بأن يرسل عليهم من خلقه من يفسد عليهم معاشهم إلى يوم القيامة فلا تقوم لهم قائمة، قال تعالى: **وإِذْ تَأَذن ربك لَيبعثَن علَيهِم إِلَى يومِ الْقِيامةِ من يسومهم سوء الْعذَابِ...** [164].

**ولعل سائلاً يسأل:** ما بال بني إسرائيل في هذا الزمان يتحكمون في رقاب الأمم والشعوب، وقد أوتوا من القوة والمال والقدرة على إدارة الصراع لصالحهم، ما لم تُؤْتَ أمة من الأمم؟

ويرى الباحثان أن هذا العلو الذي يعيشه بنو إسرائيل في هذا الزمان، قد يكون من باب استدراج هؤلاء القوم المفسدين، وقد يكون حلقة في سلسلة علوهم وفسادهم في الأرض تندرج تحت قوله تعالى: **... وإِن عدتُم عدنَا وجعلْنَا جهنم لِلْكَافِرِين حصِيراً** [165]، أي وإن عدتم للفساد عدنا للتدمير وتسليط الأمم عليكم، ويؤكد هذا المعنى قوله ﷺ :[إن الله عز وجل يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ: **وكَذَلِك أَخْذُ ربك إِذَا**

---

(158) البقرة: ٤٩، ٥٠

(159) البقرة: ٥٧

(160) البقرة: ٥٩

(161) المائدة: ٢٠

(162) النساء: ١٦٠

(163) آل عمران: ١١٢

(164) الأعراف: ١٦٧

(165) الإسراء: ٨

**أَخَذَ الْقُرى وهِي ظَاِلمةٌ ِإن أَخْذَه أَِليم شَدِيد** [166] ، [167]، فسوف يسلط الله عليهم من يقتلهم ويسبيهم ويسومهم سوء العذاب، فقد تجاوز فسادهم في الأرض كل الحدود، وسنة الله في الظالمين والمفسدين لن تتغير ولن تتبدل، قال تعالى: **فَلَن تَجِد ِلسنتِ اللهِ تَبدِيلاً ولَن تَجِد ِلسنتِ اللهِ تَحويلاً** ﴿[168]﴾، نسأل الله عز وجل أن يجعل أجلهم قريباً، وأن تقر عيوننا بهلاكهم، إنه سميع مجيب.

## الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وقد أتم علينا نعمته بتمام هذا البحث، والوقوف على ثمرته المتمثلة في النتائج التالية:

**أولاً:** معرفة المفسدين وتحديدهم من خلال التعرف على صفاتهم التي يتصفون بها كما بينتها الآيات ، وذلك لتوقي خطرهم، وتجنب صحبتهم.

**ثانياً:** ظهر لنا من خلال الدراسة أن للمفسدين صفات عدوانية، يتصفون من خلالها بالعدوان على الآخرين وينالون من خصوصياتهم، وقد وقفنا من خلال الآيات القرآنية على خمس صفات عدوانية وهي: " سفك الدماء، والاعتداء على المال العام والخاص، التطفيف، وترويع الآمنين وقطع الطريق، وأكل أموال اليتامى ومخالطتهم بنية سيئة ".

**ثالثاً:** ظهرت للمفسدين صفات ذات طابع اجتماعي، تؤدي إلى آثار سلبية بين أبناء المجتمع الواحد، أو بين الأقرباء والأرحام، وقد أوقفتنا الآيات على أربع صفات وهي: " قطع الأرحام، ونقض العهود والمواثيق، والبغض والحسد، والغدر والخديعة ".

**رابعاً:** ثبت أن للمفسدين صفات عامة، لاصقة بهم وبسلوكهم، نابعة من ذاتهم، متأصلة فيهم، وقد وقفنا من خلال الآيات الكريمة على أربع صفات وهي: " الاعتداد بالرأي، وانحراف الهوى، والصد عن سبيل الله، والتعالي وغمط الحق ".

---

[166] هود: ١٠٢

[167] صحيح مسلم ـ كتاب تحريم الظلم ـ باب البر والصلة ـ ج٤ص١٩٩٧ ـ ح(٢٥٨٣).

[168] غافر:٤٣

**خامساً:** هناك عدة نماذج لأفراد اشتهوا بالفساد، مثل فرعون وقارون والنمرود بن كنعان وغيرهم، ممن ذكرهم القرآن الكريم وأثبت فسادهم.

**سادساً:** يعد فرعون أشهر نموذج لأفراد وصفهم القرآن بالفساد، ولذلك خصصناه بالدراسة التفصيلية على سبيل المثال.

**سابعاً:** تبين لنا من خلال الدراسة أن فرعون قد اتصف بأغلب صفات المفسدين من هذه **الصفات:** " القتل وسفك الدماء ، وقهر الرعية وتعذيبها، والاستعلاء بغير الحق، والتكذيب بآيات الله، وقطع أيدي الخصوم وأرجلهم، ونقض العهود والمواثيق، والكبر، وادعاء الألوهية والربوبية، واتهام المرسلين بالفساد، ووالاعتداد بالرأي وتسفيه الآخرين ".

**ثامناً:** ثبت أن مصير فرعون في الدنيا قد تمثل في أمرين وهما: الغيظ الذي ملأ قلبه بسبب علو موسى عليه وإيمان بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وإنهم لنَا لَغَائِظُون﴾(١٦٩)، ثم سوء الخاتمة، إذ كانت ميتته غرقاً في البحر، وقد ألقي جثة هامدة علىشاطئه ليكون آية لمن بعده.

**تاسعاً:** هناك عدة نماذج لأمم اشتهرت بالفساد، مثل بني إسرائيل، وقوم لوط، ويأجوج ومأجوج، وغيرهم ممن ذكرهم القرآن الكريم وأثبت فسادهم.

**عاشراً:** يعد بنو إسرائيل أشهر نموذج لأمم ذكرهم الله بالفساد، ولذلك خصصناهم بالدراسة التفصيلية على سبيل المثال.

**حادي عشر:** ثبت من خلال الدراسة بأدلتها القرآنية أن بني إسرائيل قد اشتهروا بأنواع متعددة من الفساد، وذلك في محورين:

١- فساد في العقيدة: ويتعلق بفساد اعتقادهم في الإلهيات، والنبوات، والملائكة الكرام.

---

(169) الشعراء: 55

٢- فساد في السلوك والأخلاق: ويتعلق بالمسارعة في العدوان، وأكل السحت، والحسد، والعداوة والتباغض، واشعال الحروب بين الأمم والشعوب، ووسفك الدماء، ونقض العهود والمواثيق، ونشر الفساد في الأرض.

**ثاني عشر:** ظهرت نتيجة فساد بني إسرائيل بعقوبات تتناسب مع فسادهم، حيث حرم الله عليهم كثيراً من الطيبات، وضرب عليهم الذلة والهوان، ثم تكفل عز وجل بأن يرسل عليهم من يسومهم عليهم إلى يوم من القيامة سوء العذاب.

## المراجع

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - محمد بن محمد العمادي أبو السعود - بيروت - دار الفكر - دون تاريخ.
٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - محمد الأمين الشنقيطي - القاهرة - مكتبة ابن تيمية - ١٩٨٨م.
٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل - أبو الخير عبد الله بن عمر البيضاوي المتوفى عام ٧٩١هـ - الطبعة الثانية - القاهرة، مطبعة البابي الحلبي - ١٩٦٨م.
٤- تاريخ الأمم والملوك - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - بيروت - دون ناشر - دون تاريخ.
٥- تفسير الخازن المسمى لب التأويل في معاني التنزيل - علاء الدين علي بن محمد البغدادي - بيروت - دار الفكر - ١٩٧٩م.
٦- تفسير القرآن العظيم - إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء - تحقيق السيد محمد السيد - دار الحديث - القاهرة - ٢٠٠٢م.
٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن السعدي - الرياض - مؤسسة مكة للطباعة - ١٩٧٨م.
٨- جامع البيان في تأويل آي القرآن - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى ٣١٠هـ - الطبعة الثالثة - بيروت - دار المعرفة - ١٩٧٨م.
٩- الجامع لأحكام القرآن - أبو عبد الله محمد بن احمد القرطبي - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر- القاهرة -١٩٦٧م.
١٠-جريدة الرسالة - فلسطين - جريدة يومية تصدر عن حزب الخلاص الإسلامي - العدد ٢٩٦- ٢٠٠٤/٦/١١- ص١٢.

١١-جريدة القدس المحلية - مؤسسها محمود أبو الزلف - العدد ( ١٣١٦٦) ٢٠٠٦/٤/١٤ - ص١.

١٢-الرحيق المختوم، بحث في السيرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة و السلام - صفي الدين المباركفوري - الطبعة الرابعة - المنصورة - دار الوفاء - ٢٠٠١م.

١٣-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - محمود الألوسي - بيروت - دار الفكر - ١٩٧٨م.

١٤-السيرة النبوية - ابو محمد عبدالملك بن هشام بن ايوب الحميري المعافري - القاهرة - مكتبة المنصورة - ١٩٩٩م.

١٥-صحيح مسلم - أبو الحسين مسلم بن الحجاج: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - دون تاريخ.

١٦-صفوة التفاسير - محمد على الصابوني - بيروت - دار القرآن الكريم - ١٩٧٦م.

١٧-الغارة على العالم الإسلامي - ال شاتيليه - محب الدين الخطيب مترجم - القاهرة - منشورات العصر الحديث - ١٩٨٠م.

١٨-فتح القدير الجامع بين فن الرواية و الدراية من علم التفسير- محمد بن علي الشوكاني: دار الفكر: بيروت - ١٩٨٣م.

١٩-في ظلال القران - سيد قطب - ط١٠ - القاهرة - دار الشروق - ١٩٨١م.

٢٠-كتاب العين - الخليل بن أحمد الفراهيدي - بيروت - مؤسسة الأعلمي - ١٩٩٨م.

٢١-لباب النقول في أسباب النزول - عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي- بيروت - دار إحياء العلوم – بيروت - دون تاريخ.

٢٢-لسان العرب - محمد بن مكرم بن منظور - بيروت: دار صادر- دون تاريخ.

٢٣-المبصر لنور القرآن - نائلة هاشم صبري - مطبعة الرسالة المقدسية - ١٩٩٧م.

٢٤-الأزهر - مجلة شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة - السنة٧٨- يونيو١٩٩٥.

٢٥-مجلة صامد الاقتصادي - تصدر عن مؤسسة صامد الاقتصادي (جمعية معامل أبناء شهداء فلسطين - عمان - عدد ٨٧ص ١٢٤.

٢٦- محاسن التفسير المسمى محاسن التأويل - محمد جمال الدين القاسمي - الطبعة الثانية - بيروت - دار الفكر - ١٩٧٨م.

٢٧- المستدرك على الصحيحين - أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري - بيروت - دار الكتب العلمية - ٢٠٠٢م.

٢٨- معجم البلدان - ابوعبدالله ياقوت بن عبدالله ياقوت الحموي - الطبعة الثانية - بيروت - دار صادر - ١٩٩٥م.

٢٩- المواريث في الشريعة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة - محمد علي الصابوني - الطبعة الخامسة - الرياض - دار الصابوني - ١٩٨٧م.

٣٠- الموسوعة العربية العالمية - تعريب تيرا دل فيوجو - الطبعة الثانية - الرياض - مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع - ١٩٩٩م.